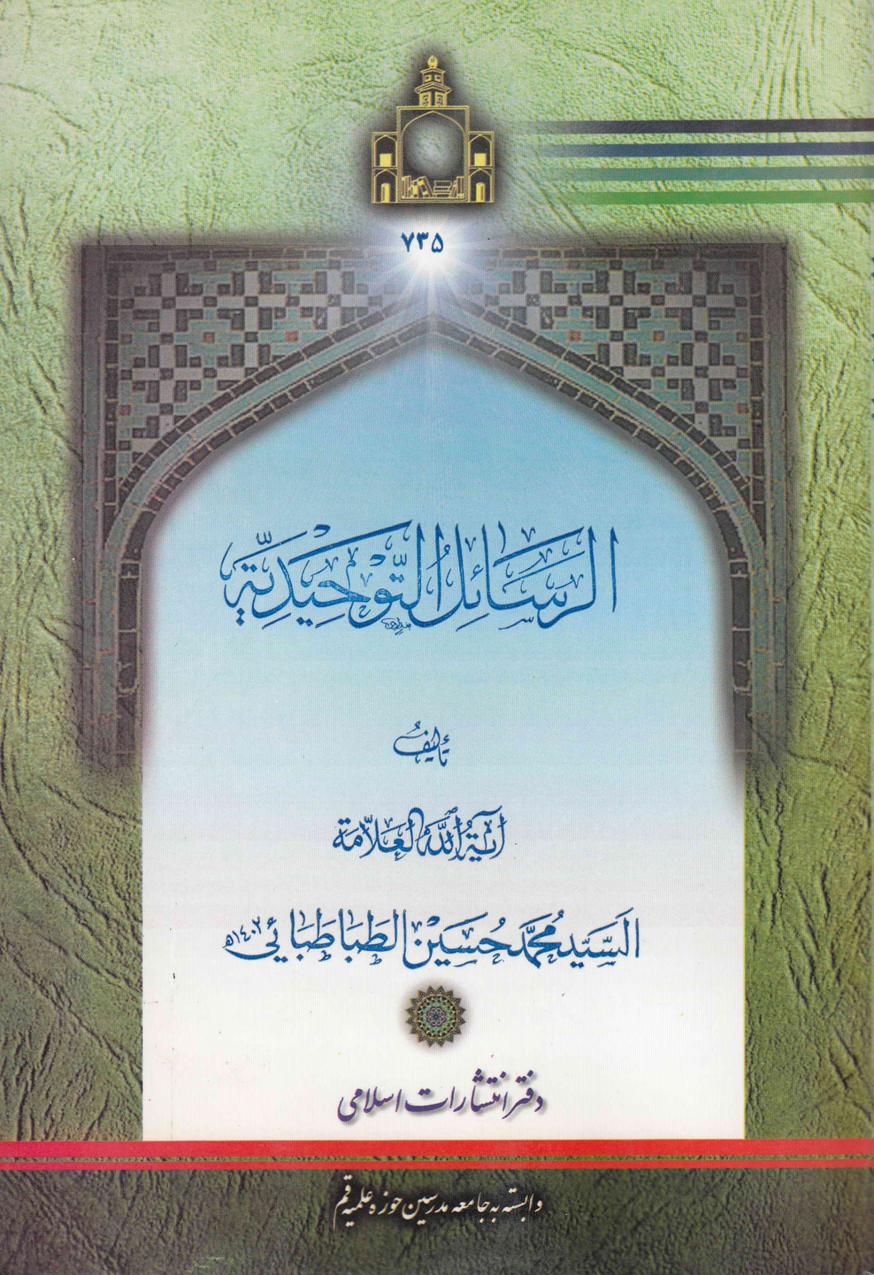


٧٣٥
الرسائل التوحيدية
تأليف
آية الله العلامة
السيد محمد حسين الطباطبائي ١٤٠٢هـ
دفتر انتشارات اسلامی
وابسته به جامعه مدرسین حوزه علمیه قم



الرسائل التوحيدية

تأليف

آية الله العلامة

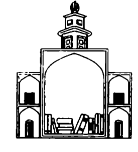
السيد محمد حسين الطباطبائي ١٤٠٢ هـ

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

طباطبائی، محمّد حسین، ۱۲۸۱ـ ۱۳۶۰.
الرسائل التوحيدية / تأليف محمّد حسين الطباطبائي. تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي. ــ مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ١٤١٥ ق. = ١٣٧٣ ش.
٢٤٤ ص. ــ (مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، ٧٣٥).
شابك X ـ ٠٢١ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 470 - 021 - X
عربی.
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
چاپ چهارم: ۱٤۲۷ ق = ۱۳۸۵ ش.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. فلسفه اسلامى. ۲. توحيد. الف. جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامى. ب. عنوان.
۵ ر / BBR ۱۳۹۲ ۱ / ۱۸۹
۱۳۷۳
كتابخانهٔ ملّى ايران ۱۶۰۸ـ ۷۳م



الرسائل التوحيدية

■ تأليف: الأُستاذ العلّامة السيّد محمّدحسين الطباطبائي ☐
■ الموضوع: الفلسفة والكلام ☐
■ طبع ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي ☐
■ عدد الصفحات: ٢٤٤ ☐
■ الطبعة: الرابعة ☐
■ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة ☐
■ التاريخ: ١٤٢٧ هـ. ق ☐

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه، المتسربل بالكبرياء والعظمة في تفرّد مجده، وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على الفاتح الخاتم أبي القاسم محمّد المصطفى، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، ينابيع العلم ومعادن الحكمة، سيّما بقيّة الله في الأرضين وأمان الله للعالمين عجّل الله تعالى فرجه الشريف، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

وبعد، فإنّ القلم يجفّ واللسان يعي والعقل يتبلبل عندما يصل الكلام الى الذات الإلهية المقدّسة، المحتجبة في سرادقات الغيوب، وما اتصفت به من الصفات العليا والأسماء الحسنى، وإن تكلّم في ذلك المتكلّمون، وحاول تقريب المعاني الى الحسّ البشري الحكماء والمتفلسفون، تعالى الله وتقدّس عمّا يصفه الواصفون، إلّا عباد الله المخلصون. فإنّ باب الحكمة هذا لم يفتح على مصراعيه إلّا لخاصّة الله وصفوته من خلقه محمّد وأهل بيته عليهم أفضل صلوات المصلّين، وهم بدورهم حملوا ما وعته ذواتهم من العلوم الربّانية والمعارف الحقّانية الى خواصّ أصحابهم وأهل العلم والفضل من شيعتهم ومواليهم، الذين طلبوا الحقيقة والعلم بخوض اللجج وسفك المهج، فحفظوا ما ضيّعه الناس، ورغبوا فيما زهد فيه أهل الجهل وذوي اللعب واللهو، فزهرت بهم الأرض وأشرقت كما زهرت

السماء بكواكبها وتزيّنت، فصاروا بحقّ الحصون المنيعة التي يأمن من يلجأ إليها ولا يخيب من رجا الكمال السؤدد اذا نزل بفنائها وأناخ ركابه في عزّ ساحتها.

ومن هذه الكواكب المشرقة والأنجم المضيئة مفخر الشيعة العارف الربّاني المفسّر الكبير والعلّامة النحرير آية الله السيد محمّد حسين الطباطبائي قدّس الله نفسه القدسية الذي أخلص لله عزّ شأنه طول عمره، فجرت ينابيع الحكمة على لسانه، واستنارت بأنوار يراعه حنادس الظلمة، والذي أثرى الحوزات العلمية بمؤلّفاته القيّمة ومصنّفاته الفذّة فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء.

والكتاب الماثل بين يديك ـ عزيزنا القارئ ـ عبارة عن مجموعة رسائل ضمّنها قدّس سرّه الشريف آراؤه العميقة وأفكاره الدقيقة في ما يتعلّق بعلوم التوحيد والصفات والأفعال والوسائط بين الخالق والمخلوق والتي يحتاجها المؤمن ـ خصوصاً طالب العلم ـ في ترسيخ إيمانه وتعميق معرفته بالله عزّ شأنه وتقدّست آلاؤه، لينال بذلك القرب المعنوي والسعادة الحقّة في الدارين ورضوان من الله أكبر.

ولا يسعنا ـ أخيراً ـ إلّا وأن نقدّم جزيل شكرنا وامتناننا للاخوة فضيلة الشيخ علي الشرواني والأخ أبي جعفر الكعبي والحاج كمال الكاتب ورعد البهبهاني لما بذلوه من جهود ومساعٍ في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة، راجين لهم ولنا دوام الموفّقية والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

مؤسّسة النشر الاسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة




رسالة التوحيد




رسالةُ التَّوحيدِ

هو اللهُ عزَّ اسمُه
رسـالةٌ في التَّوحيـد
وهي الرسالة الأُولى من كتاب التَّوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ و السَّلام على أوليائه المـقرَّبين محـمدٍ وآله الطّاهرين.

إنَّ في الوجود موجوداً واحداً واجبَ الوجود مستجمعاً لجميع صفات الكمال.

أقول: وقد أقام على وجوده وصفاته الملّيون من المسلمين وغـيرهم براهين حجّة تامّة معروفة؛ ونحن نثبت هاهنا مبلغ فهمنا من حقيقة هذا المعنى الى فصول.

فصل ١
[قول السوفسطائية والفلاسفة]

ليتأمل فيما يقوله السوفسطائية، من أنّ العالم موهوم؛ وما يقوله الفيلسوف، من ثبوت الحقائق في الخارج؛ وهذا المعنى وان لم يكن له تفسير وبيان تام، غير أنّا ندري ما نقوله وما يقولون. فمرادنا من لفظ الأصيل، والواقع، وما في الواقع، والحقيقة، والوجود، ومنشأالآثار هو الذي نثبته في قبالهم.

فصل ٢
[وحدة الوجود الحقّة]

فحيث إنّ الوجود حقيقة أصيلة، ولاغير له في الخارج لبطلانه فهو صرف؛ فكلّ ما فرضناه ثانياً له فهو هو؛ اذ لو كان غيره أو امتاز بغيره كان باطلاً؛ فالثاني ممتنع الفرض؛ فهو واحد بالوحدة الحقّة على ما تقدّم.

ومن هنا يظهر أنّه مشتمل علىٰ كلّ كمال حقيقي في ذاته بنحو العينيّة.

وحيث انّ الوجود بذاته يناقض العدم ويطارده فهو بذاته غير قابل لطرد العدم وحمله عليه؛ فهو حقيقة واجبة الوجود بذاتها.

فحقيقة الوجود حقيقة واجبة الوجود بالذّات، ومن جميع الجهات، مستجمعة لجميع صفات الكمال، منزهة عن جميع صفات النقص والعدميات.

فصل ٣

[لذاته تعالى إطلاق بالنسبة الى كلّ تعيّن]

حيث إنّ كلّ مفهوم منعزل بالذات عن المفهوم الآخر بالضرورة، فوقوع المفهوم على المصداق لايخلو عن تحديد مّا للمصداق بالضرورة، وهذا ضروري للمتأمّل. وينعكس الى أنّ المصداق الغير المحدود في ذاته وقوع المفهوم عليه متأخّر عن مرتبة ذاته نوعاً من التأخّر؛ وهو تأخّر التعيّن عن الإطلاق.

ومن المعلوم أيضاً أنّ مرتبة المحمول متأخّر عن مرتبة الموضوع. وحيث إنّ الوجود الواجبي صرف، فهو غير محدود؛ فهو أرفع من كلّ تعيّن اسميّ ووصفيّ، وكلّ تقييد مفهومي، حتى من نفس هذا الحكم. فلهذه الحقيقة المقدّسة إطلاق بالنسبة الى كلّ تعيّن مفروض حتى بالنسبة الى نفس هذا الإطلاق؛ فافهم.

فصل ٤

[ما يدلّ على إطلاق ذاته تعالى من الكتاب والسنّة]

ومعنى ما ذكرناه في الفصول السابقة متكرّر في الكتاب والسنّة.

فمنها: الآيات الكثيرة الدالّة على أنّ لله ما في السماوات والأرض[1]، ﴿ولله مُلك السماوات والأرض﴾[2]، ﴿وله ما سكَنَ في اللَّيل

---

(١) كقوله تعالى: «وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» (النجم: ٣١).

والنَّهار﴾[١]. إذ من الواضح أنّ هذا الملك ليس هو الملك الاعتباري الموهوم المعتبر عند العقلاء لغرض التمدّن؛ بل هو نسبة حقيقية؛ والنسب الحقيقية لاتتمّ إلاّ بقيام المنسوب بالمنسوب اليه وجوداً وذاتاً.

ولعمري لو لم يكن في كتاب الله إلاّ آيتان، وهما قوله عزَّ اسمه: ﴿وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوَات وَ ٱلاَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا لاٰعِبِينَ* مٰا خَلَقْناهُمٰا اِلاَّ بِالْحَقّ ِ وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾[٢] لكان فيهما كفاية أن يفهم الإنسان الحرّ حقائق هذه المعاني.

فالإنسان إذا انتزع عن زخارف هذه الدنيا، وأعرض عن عرض هذه الأدنى، ووحّد الهمّ، ووجّه الوجه نحو الرّبّ الأعلى، وأشرف نحو عالم القدس، شاهد عياناً أنّ هذه الأُمور الّتي دارت بين أبناء الدّنيا، من المطالب والمقاصد والأغراض والآمال والآثار، من الملك والأمر والعظم والرئاسة والتقدّم والعزّة والنسب والأنساب والأحساب ومقابلاتها، وآلاف من أنحائها، انّما هي أُمور موهومة وملاعب وملاهي وأمتعة الغرور؛ وكذلك أنواع اللذائذ والنعم والاستفادات التي يتنافس فيها المتنافسون ويعمل لها العاملون ويلتقي دونها المنون انّما هي أوهام سخّر الله سبحانه عليها أرباب الحياة ليبلغ الكتاب أجله؛ ولله امرٌ هو بالغه.

فاذا رأى هذا الإنسان أنّ الحقّ عزّ اسمُه في كتابه ولسان رسوله وألسنة أوليائه ينسب الى نفسه أنّه رحمنٌ رحيمٌ خالقٌ مالكٌ عزيزٌ حكيمٌ غفورٌ شكورٌ، وأنّ له كلّ اسم أحسن، وأنّه منزّه عن كلّ قبيح ونقص؛ وهذا الإنسان يعلم أنّ هذه معانٍ حقيقية، ونسب واضافات ثابتة، أيقن بلطف

---

(١) الأنعام: ١٣.

(٢) الدخان: ٣٨ و ٣٩.

القريحة وسلامة الذوق أنّ هذه النسب أنحاء قيام ذوات الموجودات بالحقّ عزّ اسمُه وقيامه سبحانه بذاته.

ثمّ أكّد له ذلك شهود الحقّ سبحانه على كل شيء بحسب خصوص ذاته: ﴿اَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾[١].

ثم قرّره على ذلك البرهان. فانّ النسبة الحقيقية الثابتة بحسب ذات الشيء، كخلق الحقّ سبحانه وملكه لذات الشيء، يجب أن تتحقّق في مقام الذات؛ وحيث إنّها وجودات رابطة فلا تتحقّق اِلاّ مع طرفيها. فالمنسوب اليه متحقّق هناك بالضرورة؛ فبالضرورة احدى الذاتين قائمة بالاخرى؛ وإلاّ لزم وحدة الاثنين، وهو محال. فملك الحقّ سبحانه للموجودات نحو قيام ذاتها به سبحانه؛ وكذلك سائر النسب والمعاني؛ فافهم.

ومنها: الأخبار الكثيرة المستفيضة في أنّه تعالى واحد لا بالعدد. فقد روى الصّدوق رحمه الله في **التوحيد**[٢] **والخصال**[٣] **والمعاني**[٤] مسنداً عن شريح بن هانئ قال:

«إنّ أعرابياً قام يومَ الجمل الى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ أَتقولُ: انّ الله واحدٌ؟ قال: فَحَمَلَ الناسُ عليه، وقالوا: يا أعرابيُّ أما ترىٰ ما فيه أميرُ المؤمنين من تقسُّم القلب؟

فقال أمير المؤمنين: دعُوه، فانّ الّذي يريده الأعرابيّ هو الّذي نريده من القوم.

---

(١) فصّلت: ٥٣.

(٢) التوحيد: ب ٣ ص ٨٣ ح ٣.

(٣) الخصال: ج ١ ب ١ ص ٢ ح ١.

(٤) معاني الاخبار: ب ٦ ص ٥ ح ٢.

ثمَّ قال عليه السلام: يا أعرابيُّ، إنّ القولَ في أنَّ الله واحدٌ على أربعةِ اقسام؛ فوجهان منها لايجوزان على الله عزَّ وجلَّ، ووجهان يثبتان فيه.

فأمَّا اللذانِ لايجوزان عليه فقول القائل: واحدٌ، يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لايجوز، لأنّ ما لا ثانيَ له لايدخل في باب الأعداد. أما ترىٰ أنّه كفر من قال: إنَّه ثالثُ ثلاثةٍ.

وقول القائل: هو واحدٌ من الناس، يريد به النَّوع من الجنس، فهٰذا ما لايجوز، لأنّه تشبيه، وجلَّ ربُّنا وتعالىٰ عن ذلك.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحدٌ ليس له في الأشياء شبهٌ، كذلك ربُّنا.

وقول القائل: إنَّه عزَّ وجلَّ احديّ المعنى، يعني به أنّه لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم؛ كذلك ربّنا عزَّ وجلَّ».

وفي التوحيد مسنداً عن هارون بن عبدالملك قال: سُئل الصادق عليه السلام عن التوحيد فقال: «هو عزَّ وجلَّ مُثْبَتٌ موجودٌ، لامُبْطَلٌ ولا معدودٌ»[(١)]، الخبر.

وفي نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام: «واحدٌ لا بِعَدَدٍ»[(٢)].

وفي خطبة أُخرى له: «واحدٌ لا من عددٍ»[(٣)].

وفي خطبة أُخرىٰ له: «ومَن حدَّه فقد عدّه»[(٤)].

---

(١) التوحيد: ب ١١ ص ١٤٠ ح ٤.

(٢) نهج البلاغة: صبحي الصالح، الخطبة ١٨٥ ص ٢٦٩.

(٣) التوحيد: ب ١ ص ٧٠ ح ٢٦.

(٤) نهج البلاغة: صبحي الصالح، الخطبة ١٥٢ ص ٢١٢.

وبالجملة، الأخبار والخطب مستفيضة في هذا المعنى؛ وهذا كالصريح في أنّ وجوده تعالى صرفُ الحقيقة، لايعزب عنه وجود؛ إذ لو كان مع وجوده وجود، بحقيقة معنى الموجود، عرض عليهما العدّ بالضرورة؛ فهذا واحدٌ وذاك ثانٍ؛ فلا وجود مع وجوده سبحانه إلاّ قائم الذات بوجوده؛ كما في حديث موسىٰ بن جعفر عليه السلام:

«كان اللهُ ولا شيءَ معه، وهو الآنَ كما كان»[١].

وفي **التوحيد**[٢] **والمعاني**[٣] **والاحتجاج**[٤]، عن هشام عن الصادق عليه السلام، قال للزنديق حين سأله عن الله، ما هو؟ قال:« هو شيءٌ بخلاف الأشياء، اِرْجِعْ بقوله[٥] شيء الى اثبات معنى، وانّه بحقيقة الشيئية، غير انّه لا جسم ولا صورة»؛الخبر.

ومنها: أخبار أُخر في التوحيد؛ في **التوحيد**[٦] **والأمالي**[٧] وغيرهما مسنداً عن الرضا عليه السلام في خطبته:«أحدٌ لا بتأويلِ عددٍ، ظاهرٌ لا بتأويلِ المباشَرَةِ، متجلٍّ لا باستهلالِ رؤيةٍ، باطنٌ لا بمزايلة»،الخطبة.

وفي **التوحيد**، مسنداً عن عمّار بن عمرو النصيبي، قال: سألت جعفر بنَ محمَّدٍ عن التوحيد. فقال:«واحدٌ صمدٌ، أزليٌّ صمديٌّ، لا ظلَّ له يمسكه، وهو يُمسك الأشياء بأظلّتها؛ عارف بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل،

---

(١) نقله الصدوق في التوحيد (ب ١ ص ٦٧ ح ٢٠)هكذا: «كان الله ولا شيء معه».

(٢) التوحيد: ب ٣٦ ص ٢٤٤ ح ١.

(٣) معاني الاخبار: ب ٨ ص ٨ ح ١.

(٤) الاحتجاج: احتجاجات الامام الصادق عليه السلام ج ٢ ص ٣٣٢.

(٥) في المصدر: «بقولي».

(٦) التوحيد: ب ٢ ص ٣٧ ح ٢.

(٧) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ١ ص ٢٢.

فرداني، لا هو في خلقِهِ ولا خلقُه فيه»[١].

والأخذ بالاظلّة هو تقويم الحقّ عزَّ اسمُهُ الأشياء بالمهيّات والتعيّنات، وبعبارة أُخرى ظهور الحقّ سبحانه في المظاهر بالتعيّنات الماهويّة وإطلاقه سبحانه في نفسه.

وقد ورد تفسير الظلّ في بعض أخبار الطينة؛ ففي خبر عبدالله بن محمّد الجعفي وعقبة المروي في تفسيري علي بن ابراهيم[٢] والعيّاشي[٣] عن أبي جعفر عليه السلام: «ثُمَّ بَعَثَهُمْ ـ أي الخلق ـ في الظلالِ. قلت: وأيّ شيء الظلال؟ قال: ألم تَرَ الى ظلّك في الشَّمس شيء، وليس بشيء»؛ الخبر. وهذا هو المهيات، أو الوجودات المستعارة بالعرض.

وفي بعض خطب علي عليه السلام: «دليلُهُ آياتُهُ، و وجودُه اثباتُه، ومعرفتُه توحيدُه، وتوحيدُه تمييزُه عن خلقِه، وحكمُ التميز بينونةُ صفةٍ لا بينونة عُزْلة»[٤]، الخطبة.

وهذه الكلمة أنفس كلمة وأوجزها في التوحيد، ولها كمال الدلالة على ذلك.

وفي **نهج البلاغة**[٥] وفي **التوحيد**[٦] مسنداً عن الصادق عليه السلام

---

(١) التوحيد: ب ٢ ص ٥٧ ح ١٥. (٢) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج ٢ ص ١١.

(٣) تفسيرالعيّاشي: سورة يونس ح ٣٧ ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) الاحتجاج: احتجاج علي عليه السلام فيما يتعلّق بتوحيد الله ص ٢٠١، بحار الانوار: ج ٤ ص ٢٥٣.

(٥) نهج البلاغة: صبحي الصالح، الخطبة ١٧٩ ص ٢٥٨ مع اختلاف في التعبير.

(٦) في التوحيد (ب٤٣ ص٣٠٦ ح١) هكذا:«هو في الاشياء على غير ممازجة وخارج منها على غير مباينة».

عن علي عليه السلام في خطبة خطاباً لذعلب:«هو في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا بائن عنها»، الخطبة.

وفي **التوحيد** مسنداً عن مسلم بن أوس، عن علي عليه السلام:«بل هو في الأشياء بلا كيفيّة»، الخطبة[1]. وهذا المعنى وما يقرب منه متواتر في الخطب والأخبار.

ومنها: الأخبار النافية للصفات، وهي في معنى الفصل الثالث؛ ففي **نهج البلاغة** في خطبة له عليه السلام: «أوّل الدّين معرفته، وكمالُ معرفته التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاص له نفي الصفات عنه»[2].

وفي خطبة أُخرى له عليه السلام:«أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه»[3].

وفي هذا المعنى أخبار أُخر أيضاً، وهذه الأخبار يفسّرها أخبار أُخر: انّ المراد من الصفات المنفيّة ليست هي الصفات المحدثة، بل أصل الوصف المفيد للتحديد والمغاير للذات.

في **اثبات الوصيّة** للمسعودي عن علي عليه السلام في خطبة: «فسبحانك ملأت كلّ شيء، وباينت كلّ شيء، فأنت لا يفقدك شيء، وأنت الفعّال لما تشاء، تباركت يا من كلّ مدرَك من خلقه، وكلّ محدود

---

(١) التوحيد، ب ٢ ص ٧٨ ح ٣٤.

(٢) نهج البلاغة: صبحي الصالح، الخطبة ١ ص ٣٩.

(٣) تحف العقول: باب ما روي عن أميرالمؤمنين ح ١.

من صنعه»[١] الخطبة.

وخطب عليّ والرضا عليهما السلام وكلمات سائر الأئمة عليهم السلام مملوءة من هذا المعنى؛ ومن المعلوم أنّ نفس الصفة تحديد وتعيين، ونفس المفهوم مدرك، فافهم.

وفي التوحيد مسنداً عن عبدالأعلى، عن الصادق عليه السلام: «يُسمّى بأسمائه، فهو غير أسمائه، والأسماء غيره، والموصوف غير الوصف»[٢]، الحديث.

وقوله: «الموصوف غير الوصف» إشارة الى أنّ المراد بالغيريّة الغيريّة التي يستدعيها مفهوم الوصف المحدّد مصداقاً؛ لا أنّ ألفاظ الأسماء غيره سبحانه، وهو ظاهر.

ومن هذا الباب ما ورد في الحديث من أنّ معنى «الله اكبر»: الله أكبر من أن يوصف، رواه الصدوق في **المعاني**[٣] بطريقين.

ومنها: ما في **الكافي**[٤] **والتوحيد**[٥] عن ابراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غيرُ متصوَّت، وباللفظ غيرُ منطَق، وبالشَّخص غيرُ مُجسَّد، وبالتشبيه غيرُ موصوفٍ، وباللون غيرُ مصبوغ، منفيٌّ عنه الأقطار، مبعَّد عنه الحدود،

---

(١) اثبات الوصية: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في الاوصياء ص ١٠٧.

(٢) التوحيد: ب ١١ ص ١٤٣ ح ٧ وفيه:«والموصوف غير الواصف».

(٣) معاني الاخبار: ب ١١ ص ١١ و١٢ ح ١ و٢.

(٤) الكافي: كتاب التوحيد باب حدوث الاسماء ج ١ ص ١١٢ ح ١.

(٥) التوحيد: باب اسماء الله تعالى ص ١٩٠ ح ٣.

محجوبٌ عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً، ليس واحد منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أشياء[(١)]، لفاقةِ الخلق إليها، وحجَبَ واحداً منها، وهو الاسمُ المكنونُ المخزونُ بهذه الأسماء الثلاثة التي أُظهرت: فالظَّاهر هو اللهُ وتبارَكَ وسبحانَ، وسخّر سبحانه لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعَةَ أركانٍ، فذلك اثنا عشر ركناً، ثمَّ خلَقَ لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرَّحمنُ، الرَّحيم، المَلِك، القُدّوس، الخالق، البارىء، المصوّر، الحيّ، القيّوم، لاتأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ، العليم، الخبير، السّميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السَّلام، المُؤْمن، المُهَيْمن، [البارىء]، المنشىء، البديعُ، الرَّفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المُحْيي، المُميتُ، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتّى تتمّ ثلاثمائة وستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان؛ وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة؛ وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل ادْعُوا اللهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[(٢)].

وهذه الروايةُ الشريفة في دلالتها على تأخّر الأسماء عن مقام اطلاق الذات لاتحتاج الى تقريب، وهي على نفاستها تدلّ على أُصول جمّة من علم الأسماء، وتنزُّل الاسم من الاسم، وتفرُّع الخلق عليها.

ومنها: ما في الارشاد وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام

(١) في المصدرين: «ثلاثة اسماء».

(٢) الإسراء: ١١٠

له: «إنّ الله َأجلُّ من اَنْ يحتجبَ عن شيء أو يَحتجبَ عنه شيءٌ»[١].

وما عن التوحيد مسنداً عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن موسى بن جعفر عليه السلام في كلام له: «ليس بينَه وبين خلقِهِ حجابٌ غيرَ خلقِهِ، احتجب بغير حجابٍ محجوبٍ واستتر بغير سترٍ مستورٍ»[٢]، الخبر. وقد جمع هذا الخبر بين ظهوره تعالى بالأشياء واستتاره بها بعينها، وهو معنى لطيف، مرجعه الى خفائه من شدّة ظهوره.

قد ظهر أنّ التوحيد الإطلاقي أرفع وأجلّ من أن يوصف بوصف؛ وفي الحديث: «من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجابه فهو مشرك»[٣].

فصل ٥

[اختصاص التوحيد الإطلاقي بالملّة الإسلامية]

وهذا المعنى من التوحيد، اعني الاطلاقي، ممّا انفردت باثباته الملّة المقدّسة الإسلامية، وفاقت به الملك[٤] والشرائع السالفة. فظاهر ما بلغنا منهم في التوحيد هو مقام الواحدية، وأنّه تعالى الذات الواجبة المستجمعة لصفات الكمال؛ فغاية ما وصل إلينا من معنى التوحيد من الملل السابقين وكلمات الحكماء المتألهين هي ما مرّ في الفصل الثاني؛ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

تمَّ والحمد لله والسلام على محمّد وآله

---

(١) الارشاد: ج ١ ب ٧١ ص ١٢٠ ح ٢. (٢) التوحيد: ب ٢٨ ص ١٧٩ ح ١٢.
(٣) لم نعثر عليه. (٤) الملل (ظ).

[ملحق]

بسمه تعالى

[ما ندب اليه الإسلام آخر درجة من التوحيد]

مقالة ملحقة بالرسالة، نبيّن فيها أنّ ما ندب اليه دين الاسلام المقدّس آخر درجة من التوحيد، ونبيّن فيها ثمرة ذلك في فصول ثلاثة ليعلم أنّ التوحيد حيث إنّ له إضافة الى ما وحّد فيه، يختلف باختلاف المضاف اليه، والمتصوّر من ذلك ثلاثة: الذات، والاسم وهو الذات مأخوذاً بوصف، والفعل. فالتوحيد أيضاً ثلاث: توحيد ذاتي، وتوحيد أسمائي، وتوحيد أفعالي؛ أي أنّ كلّ شيء قائم الذات، وقائم الاسم، وقائم الفعل به سبحانه.

فصل ١

[التوحيد الذاتي]

قد عرفت أنّ مقتضى البرهان المذكور في الفصل الثالث ارتفاع كلّ تعيّن مفهومي وتحديد مصداقي عن الذات وأنحاء[1] كلّ تميز هناك حتى هذا الحكم بعينه.

(١) انمحاء (ظ).

ومن هنا يظهر أنّ استعمال لفظ المقام والمرتبة ونحوهما هناك مجاز من باب ضيق التعبير.

ومن هنا يظهر أنّ التوحيد الذاتي، بمعنى معرفة الذات بما هو ذات، مستحيل. فإنّ المعرفة نسبة بين العارف والمعروف. وقد عرفت أنّ النسب ساقطة هناك، وكلّ ما تعلّق من المعرفة به فإنّما بالاسم دون الذات، ولا يحيطون به علماً، وإليه يرجع ما ذكروا أنّ المعرفة على قدر العارف. مثال ذلك الاغتراف من البحر، فانّ القدح مثلاً لا يريد إلاّ البحر، لكن الذي يأخذه على قدر سعته.

ويظهر أيضاً أنّه خارج عن حيطة البيان أيضاً.

من هنا يتبيّن أنّ التوحيد الذاتي آخر درجات التوحيد، فإنّ كمال التوحيد بحسب اطلاق الموحّد فيه وإرساله، وهو ها هنا كلّ تعيّن حقيقي أو اعتباري، حتى نفس التوحيد. قال سبحانه خطاباً لنبيه: ﴿وَ اَنَّ اِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ﴾[1].

فصل ٢
[ميراث الأقدمين في مسألة التوحيد]

قد عرفت أنّ مقتضى البرهان المذكور في الفصل الثاني من الرسالة أنّ الله عزَّ اسمه ذات مستجمع لجميع صفات الكمال، منفيٌّ عنه جميع صفات النقص، وأنّ جميع صفاته عين ذاته. وهذا هو الموروث عن الشرائع

---

(١) النجم: ٤٢.

السابقة المندوب اليه بدعوة المرسلين والأنبياء الماضين عليهم السلام، وهو الذي يظهر من تعاليم الحكماء المتألهين من حكماء مصر ويونان والفرس وغيرهم، وهو الذي شرحه الاعاظم من فلاسفة الإسلام، مثل المعلم الثاني أبي نصر ورئيس العقلاء الشيخ أبي علي، وعليه صدر المتألهين في كتبه، وأسّس أنّ الوجود حقيقة واحدة مشكّكة ذات مراتب مختلفة في الشدّة والضعف، وأنّ أضعفها الهيولي الأُولى، وأقواها وأشدّها الوجود غير المتناهي قوّةً وكمالاً، وهو المرتبة الواجبية، وأنّ جميع المراتب موجودة غير أنّها بالنسبة الى المرتبة الواجبية وجودات رابطة غير مستقلّة في نفسها، لايحكم عليها وبها، مستهلكة تحت لمعان نوره وإشراق بهائه.

وقد ظهر ممّا تقدّم أنّ إثبات أكمل مراتب توحيد الحقّ سبحانه هو الذي اختصّ به شريعة الإسلام المقدّسة، وهذا هو المقام المحمدي الذي اختصّ به محمّد والطّاهرون من آله صلّى الله عليهم والأولياء من أُمّته على نحو الوراثة.

فصل ٣

[التوحيد الذاتي مشهود بشهود فطري]

والذي ذكرناه من التوحيد الذاتي هو المشهود بالشهود التام الساذج الموجود. فإنّ الإنسان، بحسب أصل فطرته، يدرك بذاته وجوده، وأنّ كلّ تعيّن فهو عن إطلاق وإرسال، إذ شهود المتعيّن لايخلو عن شهود المطلق.

ويشاهد أيضاً أنّ كلّ تعيّن في نفسه وغيره فهو قائم الذات بالإطلاق، فمطلق التعيّن قائم الذات بالإطلاق التام.

ويجد أيضاً من نفسه لزوم الخضوع والكدح من تعيّنه لإطلاقه، وحسن الحسن، وقبح القبيح، وأنّ التكليف محتاج الى البيان. وهذه المعاني الثلاثة هي التوحيد الذاتي، والولاية المطلقة، والنبوّة العامّة. وهذه الشريعة الإسلامية هي القائمة على هذه الأمور بتمامها وكمالها. قال الله: ﴿فأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لاٰ تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾(١).

وفي التوحيد مسنداً عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ قال: التوحيد(٢).

وفي تفسير علي بن ابراهيم مسنداً عن الرّضا، عن أبيه، عن جدّه محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، في قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ قال: هو لا إله إلاّ الله، محمدٌ رسول الله، عليٌّ امير المؤمنين، الى ها هنا التوحيد(٣).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بُعثتُ لاِتُمّم مكارمَ الأخلاق»(٤).

وقال تعالى: ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائثَ﴾(٥).

---

(١) الروم: ٣٠. (٢) التوحيد: ب ٥٣ ص ٣٢٨ ح ١.

(٣) تفسير القمي: في ذيل آية ٣٠ من سورة الروم.

(٤) بحار الانوار: ج ١٦ ص ٢١٠. (٥) الاعراف: ١٥٧.

والآثار كثيرة في أنّ تشريع الشريعة يحوم حول الأُمور الثلاثة.

وقد انتج استعمال الفطرة الساذجة في هذه الشريعة المقدَّسة في كلّ من مرتبتي الملكات والأفعال نتيجة عجيبة، لم يسبقها اليها شيء من الشرائع السالفة.

أمّا في مرتبة الملكات، فالملكة علم، والإنسان الكامل لايرىٰ إلاّ الحقّ سبحانه، والإنسان المستكمل لاينبغي أن يتوجّه الى غير الحقّ سبحانه، فلا يبقى موضوع للأخلاق الرذيلة، كالعجب والكبر والرياء والسمعة والجبن والبخل وحبّ الجاه والركون الى الدنيا وغير ذلك، فيقع الاخلاق الفاضلة حينئذٍ بالله ولله، فافهم ذلك.

ولعمري، كم من الفرق بين أن يزيل الإنسان رذيلة الجبن مثلاً عن نفسه تارة بأن لايتوجّه الى غير الحقّ سبحانه، فلا شيء حتى يخاف منه.

وتارة بأن يتّكل على الله في دفع المكروه المخوف عنه، كما في ظاهر الشرائع.

وتارة بأن يعتقد أنّ وقوع المكروه المخوف عنه أمر ممكن مساوي الطرفين، والخوف والجبن بترجيح جانب الوجود ترجيح بلا مرجّح، وهو قبيح؛ أو أنّ الجبن رذيلة عند الناس، لايقع الثناء عليه، كما يقوله الحكيم الأخلاقي. وعلى ذلك فقس، ومع ذلك فقد استعملت الشريعة المقدّسة في تعليمه جميع الوجوه.

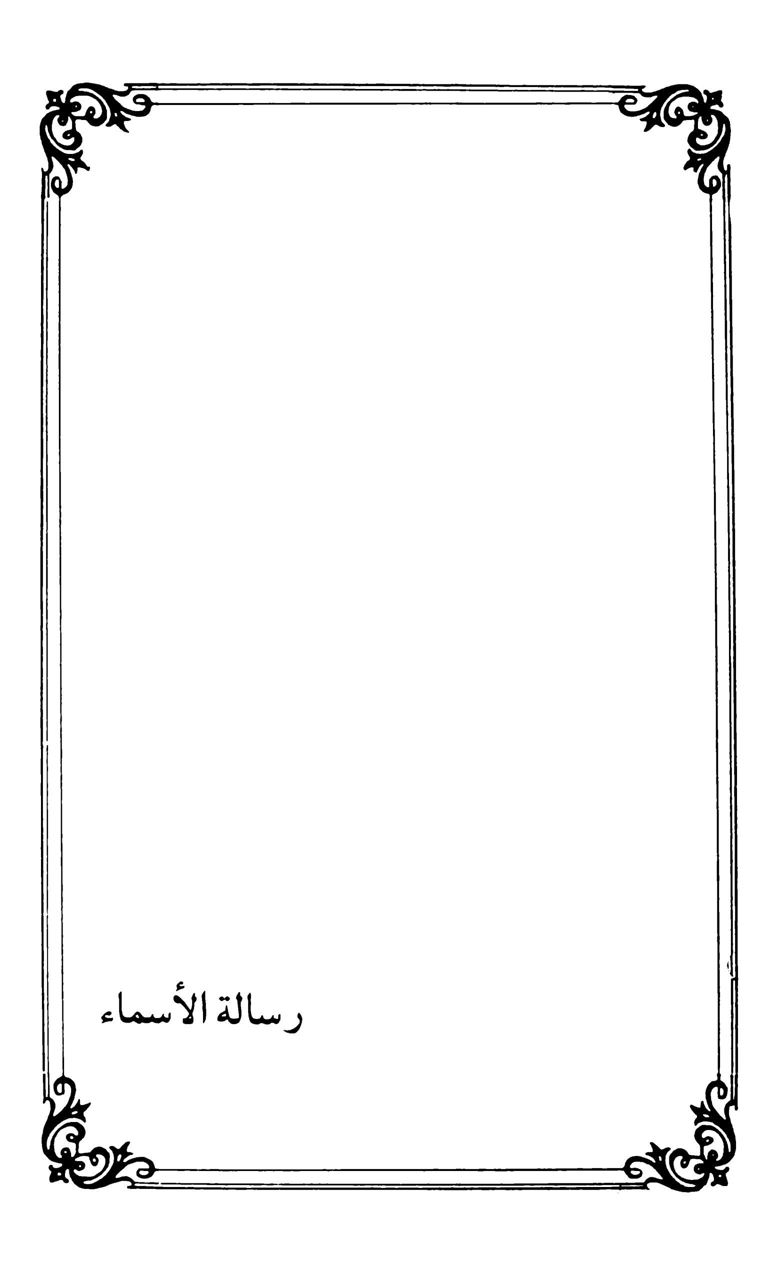
والى نحو هذا المعنى يشير ما في تفسير القمي في حديث المعراج: «فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا ربّ أعطيتَ أنبياءَكَ فضائِل، فاعطني. فقال الله:وقد اعطيتُكَ فيما اعطيتك كلمتين من تحت عرشي: لا

حوَلَ ولا قُـوَّةَ إلاّ بالله، ولا مَنْجىٰ منك إلاّ إليك»[١].

وأمّا في رتبة الأفعال، فقد قصرت الإباحة في ضروريات الحياة، على ما تقتضيه الفطرة؛ ثمّ حاصر ذلك بالتوجيه الى الله عزَّ وجلَّ في صغير الأفعال وكبيرها؛ ثمَّ طرد استعمال ذلك في جميع جزئيات أطراف الحياة، من الأمكنة والأزمنة والصحّة والمرض والغنى والفقر والموت والحياة وسائر الحالات وجميع الأفعال؛ فصارت شريعة حافظة للتوحيد على وحدته في هذه الكثرة، وحافظة لهذه الكثرة على كثرتها في التوحيد؛ فاغتنم، فهذه لعمر الله نعمة لاتوزن بالسبع الشداد والأرض ذات المهاد والجبال الأوتاد.

تمّ والحمد لله ليلة الأحد خامس ذي الحجة من سنة
ألف وثلاثمائة وست وخمسين قمرية هجرية وتم الاستنساخ
ليلة الاثنين لاثنين وعشرين خلت من شهر
محرّم الحرام لسنة ١٣٦١

(١) تفسير القمي: في تفسير قوله تعالى:«سبحان الذي أسرىٰ بعبده...».



رسالة الأسماء

رسالة الأسماء

رسالة في أسماء الله سبحانه و تعالى
وهي الرسالة الثانية من كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أوليائه المقرّبين سيّما محمّد وآله الطاهرين.

قد ذكرنا في رسالة التوحيد أنّ التوحيد منه ذاتي، ومنه اسمي، ومنه فعلي.

أمّا التوحيد الذاتي، فقد ذكر هناك أنّه خارج عن حيطة التوصيف ودائرة البيان.

وأمّا الأسماء والأفعال فإذ لم نستوف البيان فيهما هناك أردنا أن نأتي هاهُنا بعض البيان في الاسم، ونشرحه بعض الشرح، بالجمع بين البرهان العقلي والبيان النقلي بما يلائم ذوق هذه الرسائل.

وأمّا التفصيل التام لهذه الأبحاث فموكول الى مطوّلات كتب القوم رضوان الله عليهم، ونعني بها الكتب المعمولة على الجمع بين الذوق والبرهان والتشفيع بين العقل والنقل.

وأمّا الكتب التي شأنها أن تضع قضايا ساذجة يحكم بها الأفهام العامّية وضعاً، ثم تدافع بالدفاع الجدلي عنها بالغاً ما بلغ، فلا يهمّنا الرجوع اليها، ولا الركون إليها، ولا لهذه الأبحاث مساس بها، ولا لنا شغل بمن هذا طرز بحثه وطور مطالبه، والله المعين.

فصل ١

[تقسيم اسماء الله تعالى]

قد عرفت في رسالة التوحيد أنّ الله سبحانه هو الوجود الصرف الذي له كلّ كمال وجودي.

فكلّ ما فرض هناك غيره عاد عينه، فله وحدة عينية يستحيل معه فرض ثانٍ له، فلا تعدّد ولا اختلاف ولا تعيّن هناك، بمعنى المحدودية بحـ مفروض، لا مصداقاً ولا مفهوماً؛ بل كلّ ما فرض تعيّناً، مفهوماً أو مصداقاً، كان متأخّراً عن هذه المرحلة المفروضة.

ثمّ إنّه لاشتماله على حقائق جميع الكمالات الوجودية متّصف بجميعها، فهو مسمّى بها، وهي أسماؤه، إذ ليس الاسم إلاّ الذات مأخوذاً ببعض

أوصافه، فهو في نفسه وبذاته سبحانه متّصف بها ومسمّى بها، ومفاهيمها تنتزع عن ذاته بذاته.

وإذا لوحظت معه الوجودات الفائضة منه المترشّحة عنه، ظهرت بينها وبين أسمائه الذاتية جلّت أسماؤه نسب، هي كالروابط تربطها بها دون الذات، فإنّه مبرّأ عن التعيّنات والنسب كما عرفت.

وبالجملة فهناك تظهر تعيّنات وأوصاف أُخر، وتنتزع مفاهيم أُخرى تلحق بالقسم الأول، وذلك كالخلق والرزق والرحمة والكرم واللطف والإعادة والبدء والإحياء والإماتة والبعث والحشر والنشر وغير ذلك، وهذه هي أسماء الأفعال المتأخّرة عن الذات وأسمائها، وتنتزع عن مقام الفعل.

بقي هنا شيء، وهو أنّ هذه الأسماء لو انتزعت عن مقام الفعل فإنّما انتُزعت عنه بما أنّ بينه وبين الذات نسبة مّا ورابطة مّا، وإلاّ لم يصدق هذه الأسماء على الذات البتة، فيؤول الاتصاف الى اعتبار الحيثيّة، بمعنى أنّ الذات بحيث لو فرض خلق مثلاً فهو خالقه، ولو فرض رزق فهو رازقه، فإذن سبيل الأسماء الفعلية سبيل الأسماء الذاتية في أنّ الجميع موجودة للذات حقيقة. نعم الأسماء الذاتية لاتحتاج في انتزاعنا إيّاها الى أزيد من الذات بذاته، والأسماء الفعلية تحتاج في مرحلة الانتزاع الى فعل متحقّق في الخارج، فافهم ذلك.

ثمّ إنّك تعلم أنّ الكمالات الوجودية حيث كانت موجودة للذات، والنواقص العدمية مرتفعة عنه، كانت هناك أوصاف سلبية على سبيل الأوصاف الإيجابية، إلاّ أنّها حيث كانت أعداماً فهي غير متحقّقة هناك،

و إنما هي منتزعة من غيره انتزاعاً، ومدلولها سلب السلب، ويرجع الى إثبات الوجود.

وقد تبيّن من جميع ما مرّ أنّ أسماءه سبحانه على كثرتها تنقسم أولاً الى أسماء ذاتية وفعلية، وثانياً الى أسماء ثبوتية وسلبية، وهكذا الى أسماء خاصّة وعامّة.

فصل ٢
[دلالة الكتاب والسنّة على ما مرّ]

والنقل أيضاً يدلّ على ما مرّ، أمّا ما يدلّ على الأسماء الذاتية والفعلية والثبوتية والسلبية فغير ضروريّ الإيراد، لبلوغها من الكتاب والسنّة في الكثرة فوق حدّ الإحصاء، على أنّ بعضها سيورد إن شاء الله سبحانه في طيّ الفصول الآتية.

فصل ٣
[مقام الأحدية والواحدية وسائر التعيّنات]

قد عرفت في الفصل الأول أنّ ذاته المقدّسة ذات صرافة وإطلاق، مبرّأة من جميع التعيّنات مفهوميّة ومصداقية، حتّى عن نفس الإطلاق. وحيث كان هذا بعينه تعيّناً مّا تمحق عنده التعيّنات، ويطوي بساط جميع الكثرات، كان هذا أوّل الأسماء وأوّل التعيّنات، وهو المسمّى بمقام الأحدية. ثمّ تظهر التعيّنات الإثباتية، وأوّل تلك نفس الإثبات، وذلك أنّه هو، وهو الهوية. ثمّ تظهر بقية التعيّنات. فمن حيث إنّ هذه الحقيقة التامّة

حاضرة عند نفسها واجدة لها يظهر تعيّن العلم، وحيث إنّها المبدأ التـام لكلّ كمال وجودي يظهر تعيّن القدرة، ويظهر من تألف القدرة مع العلم تعيّن الحياة. ثم تظهر بقية التعيّنات من تأليف بسائطها.

فقد تبيّن أنّ الأسماء بينها ترتّب ما يتفرّع به بعضها على بعض آخر.

ثمّ نقول في بيان أسمائه سبحانه قد عـرفت أنّ الوجـود هـو الحـقيقة الخارجيّة فحسب، وغيره كالمهيّات أُمور منتزعة ذهنية، لا خارجية لها إلاّ بعرض الوجود، وأمّا مع قطع النظر عنها فهي بـاطلة الذات هـالكة العين، وهذه الحقيقة الخارجية حيث إنّها يطّرد العدم بـذاتهـا يسـتحيل طريان العدم عليها، لامتناع اجتماع النقيضين، فإذن هي واجبة الوجود بذاتها.

ومن هنا يظهر أنّ للوجود الحقيقي وحدة وصرافة لايمكن معه فرض ثانٍ له، وهو أحديته كما مرّ، فهو وحده لاشريك له.

ومن هنا يظهر امتناع فرض قوّة أو إمكان أو تغيّر أو تحوّل هناك، إذ هو لصرافته حاوٍ لكلّ كمال وجودي فرض، فهو صريح الفعلية، فكما أنّه واجب الوجود بالذات فهو واجب الوجود من جميع الجهات.

هذا ومن الواجب أن تعلم أنّ هذا البيان إنّما يجري في الوجود الواجبي الصرف المستقل بذاته، دون الوجود الإمكـاني؛ فـإنّه لمـعلوليته رابـط موجود في غيره، يستحيل أن يوضع فـيحكم عـليه بـشيء كـوجوب الوجود والقيام بنفسه ونحو ذلك.

فما نشاهده من المهية الموجودة انّما نشاهد الوجود الحـقيقي الواجـبي بمقدار ما تقوم به هذه المهية، وهو المراد بقولنا: وجود الممكن ظهور مـا

للواجب فيه، وأنّ الممكن مظهر للواجب، فهو نور.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ كلّ ما فرض ذا مهية متساوية النسبة الى الوجود والعدم فهو في تحقّق ذاته ووجوده يحتاج الى الواجب سبحانه، وآثاره الذاتية ـ كائنة ما كانت ـ محتاجة إليه سبحانه أيضاً، وان كانت بحيث إذا نظر العقل إليها حكم باقتضائه إيّاها، وهو الوساطة، فكما أنّ الأربعة ـ وهي عدد ما ـ تحتاج في وجودها اليه سبحانه فكذلك كونها زوجاً وضعف الاثنين ومجذوراً له وسائر آثاره محتاجة إليه سبحانه، وإن كان كلّها بوساطة الأربعة واقتضائها؛ فذاته سبحانه بذاته هو المبدأ لكلّ وجود ممكن، وهذا هو القدرة الواجبية؛ إذ القدرة بمعنى صحّة الفعل والترك ـ أي إمكان الطرفين ـ مستحيلة في حقّه سبحانه، لكونه واجب الوجود من جميع الجهات، فهو سبحانه مبدأ بذاته لكلّ موجود بحسب ما يليق بذات ذلك الموجود. فهو مبدأ بالفعل لكلّ موجود بالفعل، ومبدأ بالفعل لكلّ موجود بالقوّة ولنفس القوّة والإمكان، فهو المفيض لكلّ شيء وآثاره بفيوضات الوجود وبركات الظهور والبروز.

ومن هناك يظهر أيضاً أنّ ذاته موجودة لذاته، وحاضرة لها، لا حجاب بينه وبين ذاته، وجميع الكمالات الموجودة[1] لذاته، فهو في مقام ذاته عالم بذاته وصفاته وبجميع الموجودات المترشّحة عن ذاته، وهو العلم الذاتي.

وأيضاً كلّ موجود حاضر بذاته عنده سبحانه كيف وبعرض وجوده سبحانه وجد وبنوره استشرق، فهو سبحانه كما يشهدها عزّ ذاته المقدّسة

---

(١) موجودة (ظ).

بذاته في مرتبة ذاته يشهدها في مرتبة وجوداتها الخارجية ومواطنها الواقعية، كلّاً في ظرفه وموطنه، وهو العلم الفعلي؛ على أنّ كلّ علم متحقّق عند الموجودات فهو له أيضاً.

وحيث ثبت له سبحانه العلم والقدرة ثبت له الحياة، اذ المحي[1] هو الدرّاك الفعّال.

وحيث ثبت أنّ إيجاده للموجودات بنحو الظهور في مواطن ذواتها وظروف هوياتها، ثبت أن كلّ كمال وجمال وحسن فهو له سبحانه ثابتة فيه. والحسن والجمال تمامية وجود الشيء وكمالاته وآثاره، فهو سبحانه متصف بكلّ صفة حسن وجمال.

وحيث كان كلّ منقصة ورذيلة ومحدودية وقبح وسوء منحلّاً بالتأمّل التام الى عدم كمال مطلوب، ولا سبيل للأعدام الى ساحته المقدّسة، كانت النقائص الإمكانية طرّاً والكدورات الماهوية جميعاً راجعة الى المهيّات الإمكانية ومن لوازمها وتوابعها، فهو سبحانه طاهر من كلّ دنس، قدّوس من كلّ نقص وخبث، فهو المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال.

ومن هنا يظهر أنّ الائتلاف والاجتماع بين صفات الجمال والجلال هو المقتضي لفيضان الوجود على الموجودات ولمعان النور وانبثاثه في هذه الظلمات، فلولا صفات الجلال لم يكن وجود، ولولا صفات الجمال لم يكن إيجاد، فافهم.

ثمّ إنّ هذه الأسماء الحسنى والصفات العليا، وان تكثّرت مفاهيمها إلاّ

---

(١) الحيّ (ظ).

انّه ليس لها إلاّ مصداق واحد، وهو الذات المقدّسة؛ إذ من المستحيل كما عرفت فرض اثنينيّة ما هناك، فكلّ حيثية في الذات عين الحيثية الأُخرى، والكلّ عين الذات. فهو تعالى موجود من حيث إنّه عالم، وعالم من حيث إنّه موجود، وقادر بعين حياته، وحيّ بعين قدرته، وهكذا. وهذا هو واحديّة الذات، فهو سبحانه واحد كما أنّه أحَد.

فتبيّن من جميع ما مرَّ أنّه سبحانه بأحديّة ذاته يمحق ويطمس جميع الكثرات، ثم يتنزّل الى مقام الأسماء على وحدتها، فينبعث بذلك الكثرات المفهومية دون المصداقية، ثم يتنزّل الى مراتب الموجودات الإمكانية بظهورها في مظاهرها وإظهارها لمكامنها، فينبعث حينئذٍ الكثرات المصداقية.

مَثَلُ ذلك: إنّك إذا رجعت الى صفاتك وجدتك أنّك عالم وأنت أنت، وقادر وأنت أنت، وسميع وبصير وذائق وشام ولامس وأنت أنت؛ فشيء من صفاتك لا يخلو ولا يخرج منك أنت، فهذا واحدية صفاتك في ذاتك. ثمّ إذا رجعت الى نفسك وجدت أنّها أنت ليس هناك إلاّ أنت، مع أنّك صاحب صفات كثيرة، غير أنّها قد استهلكت وانمحت في هذه المرحلة، وهذا مقام أحدية ذاتك.

ثمّ إنّك إذا زدت على ذلك وتصوّرت مرتبة خيالك المنبسط على صور خيالاتك الجزئية، ثمّ جزئيات متخيلاتك، ثم تنزّلت الى أفعالك واعتبرت نفسك معها، علمت أنّ الجميع قائمة بك لا تخلو عنك، فلو أمعنت وأتقنت في تأملك في هذا المثل صحّ لك تعقّل ما تنتجه هذه البراهين التي أسلفناها.

فصل ٤
[الدلائل النقلية في الكتاب والسنّة]

والنقل مطابق للعقل فيما مرّ من المعاني، ولبيان ذلك إجمالاً نضع مباحث:

المبحث الأول [أسماؤه تعالى في القرآن والروايات]

[ألف ـ في القرآن]

إنّ الأسماء التي خصّ بالذكر في القرآن المجيد، وهي التي في معنى الوصف هي:

أ ـ إله، أحد، أوّل، آخر، أعلى، أكرم، أعلم، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين، أهل التقوى، أهل المغفرة.

ب ـ بارىء، باطن، بديع، برّ، بصير، بديع.

ت ـ توّاب.

ج ـ جبّار، جامع.

ح ـ حكيم، حليم، حيّ، حقّ، حميد، حسيب، حفيظ، حفيّ.

خ ـ خبير، خالق، خلاّق، خيرالماكرين، خيرالرازقين، خير الفاصلين، خيرالحاكمين، خيرالفاتحين، خيرالغافرين، خيرالوارثين، خير الراحمين.

ذ ـ ذو العرش، ذو الطول، ذو انتقام، ذو الفضل العظيم، ذو الرحمة، ذوالقوّة، ذو الجلال والإكرام.

ر ـ رحمن، رحيم، رؤوف، ربّ، رفيع الدرجات، رزّاق، رقيب.

س ـ سميع، سلام، سريع الحساب، سريع العقاب.

ش ـ شهيد، شاكر، شكور، شديد العقاب، شديد المحال.

ص ـ صمد.

ظ ـ ظاهر.

ع ـ عليم، عزيز، عفوّ، عليّ، عظيم، علاّم الغيوب، عالم الغيب والشهادة.

غ ـ غنيّ، غفور، غالب، غافر الذنب، غفّار.

ف ـ فالق الإصباح، فالق الحبّ والنّوى، فاطر، فتّاح.

ق ـ قويّ، قدّوس، قيّوم، قاهر، قهّار، قريب، قادر، قدير، قابل التوب.

ك ـ كريم، كبير.

ل ـ لطيف.

م ـ مَلِك، مُؤمن، مُهَيْمن، متكبّر، مصوِّر، مَجيد، مُجيب، مُبين، مَوْلى، محيط، مُقيت، متعال، مُحيي، مَتين، مُقتدر، مستعان.

ن ـ نصير، نور.

و ـ وهّاب، واحد، وليّ، واسع، وكيل، وَدود.

هذه هي الأسماء الواردة في الكتاب الإلهي بلسان التوصيف، وهي مائة وسبعة عشر اسماً؛ وهنا موارد أُخر بلسان قريب من لسانها:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

---

(١) الحجر: ٦.

وقال تعالى: ﴿إنّا كُنّا فاعِلينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَعّالٌ لِما يُريدُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قائِماً بِالْقِسْطِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إنّا لَهُ كاتِبُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إنّا مُنْتَقِمُونَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿لَيسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شفيعٌ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي يُحْيي وَ يُميتُ﴾[٩].

وقال تعالى: ﴿فَلاكاشِفَ لَهُ إلاّ هُوَ﴾[١٠].

فربما يستخرج الحافظ، والفاعل، وفعّال ما يريد، والقائم بالقسط، والكاتب، والوارث، والمنتقم، والشفيع، والوالي، والمميت، وكاشف الضرّ، من هذه الآيات. وأمّا ما ورد بلسان الفعل فكثير.

[ب ـ في الروايات]

وأما الاحاديث، ففي التوحيد[١١] و الخصال[١٢] مسنداً عن سليمان بن

---

(١) الانبياء: ١٠٤.

(٢) هود: ١٠٧.

(٣) آل عمران: ١٨.

(٤) الانبياء: ٩٤.

(٥) الحجر: ٢٣.

(٦) الدخان: ١٦.

(٧) الانعام: ٥١

(٨) الرعد: ١١.

(٩) المؤمنون: ٨٠.

(١٠) الانعام: ١٧.

(١١) التوحيد: ب [illegible] ص [illegible] ح ٨

(١٢) الخصال: ج ٢ ب ٨٠ ص ٥٩٣ ح ٤

مهران، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن علي عليه السلام «قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحداً، من أحصاها دخل الجنّة؛ وهي: الله، الإله، الواحد، الأحد، الصّمد، الأوّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العليّ، الأعلى، الباقي، البديع، البارىء، الأكرم، الظاهر، الباطن، الحيّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ، الحقّ، الحسيب، الحميد، الحفيّ، الرّبّ، الرّحمن، الرّحيم، الذّارىء، الرّازق، الرقيب، الرؤوف، الرائي، السّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، السيّد، السبّوح، الشهيد، الصادق، الصانع، الطّاهر، العدل، العفوّ، الغفور، الغنيّ، الغيّاث، الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدّوس، القويّ، القريب، القيّوم، القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنّان، المحيط، المبين، المقيت، المصوّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضرّ، الوتر، النور، الوهّاب، الناصر، الواسع، الودود، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البرّ، الباعث، التوّاب، الجليل، الجواد، الخبير، الخالق، خيرالناصرين، الديّان، الشكور، العظيم، اللطيف، الشافي»، الخبر.

قال الصدوق في **الخصال**: وقد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة وألفاظ مختلفة.

وفي **التوحيد** مسنداً عن الهروي، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام «قال: قال رسول الله: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مَنْ دعا الله بها استَجابَ له، ومَنْ أحصاها دَخَلَ الجنّة»[١].

---

(١) التوحيد: ب ٢٩ ص ١٩٥ ح ٩.

وفي التوحيد أيضاً مسنداً عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاّ واحداً، إنّه وتر يحبّ الوتر، مَن أحصاها دخل الجنّة. فَبَلَغنا أنّ غير واحد من أهل العلم قال: إنّ أوّلها يفتتح بلا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلاّ الله له الأسماء الحسنى، الله، الواحد، الصّمد، الاوّل، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارىء، المصوّر، المِلك، القدّوس، السّلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبّر، الرّحمن، الرّحيم، اللطيف، الخبير، السّميع، البصير، العليّ، العظيم، البارّ، المتعالي، الجليل، الجميل، الحيّ، القيوم، القادر، القاهر، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهّاب، الودود، الشكور، الماجد، الأحد، الوليّ، الرشيد، الغفور، الكريم، الحليم، التوّاب، الربّ، المجيد، الحميد، الوفيّ، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، المبدىء، المُعيد، الباعث، الوارث، القويّ، الشديد، الضارّ، النافع، الوافي، الحافظ، الرافع، القابض، الباسط، المُعزّ، المُذلّ، الرّازق، ذوالقوّة المتين، القائم، الوكيل، العادل، الجامع، المعطي، المجتبي، المحيي، المميت، الكافي، الهادي، الأبد، الصادق، النور، القديم، الحقّ، الفرد، الوتر، الواسع، المُحصي، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، المنتقم، البديع»[1]، الحديث.

أقول: والروايتان المُحصيتان لأسمائه تعالى، على أنّهما اشتملتا على بعض الأسماء الغير الواردة في القرآن، مثل السيّد، والصانع، والجميل، والقديم، وغيرها. وعلى أنّهما أهملتا بعض الأسماء الواردة في القرآن، مثل

(١) التوحيد: ب ٢٩ ص ٢١٩ ح ١١.

ذي الجلال والإكرام، وذو الطول، ورفيع؛ بينهما اختلاف في الأسماء المحصاة. هذا أوّلاً.

وثانياً: لفظ الجلالة أحد الأسماء في الثانية، وغيرها في الأُولى، وهو فيها تمام المائة.

وثالثاً: ظاهر الرواية الثانية أنّ إحصاء الأسماء خارج عن الرواية. ولايبعد أن يستظهر من الرواية الأُولىٰ أيضاً كونها خارجة عن الرواية، حيث قال فيها:«وهي الله، الإله، الى آخره» وعدّ مائة اسم.

وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مَن أحصاها دخل الجنّة»، فقد استفاض به الروايات، ورواه الخاصّة والعامّة، لكنّه في غير مقام الحصر على ما سيظهر، ولهذا خصّصنا الكلام بما ورد في القرآن الكريم، على أنّ غيرها ينشرح بشرح معانيها وبيان مبانيها.

المبحث الثاني [الضابط العام في تفسير الأسماء والصفات]

إنّ المعاني التي قد أُستعملت فيها هذه الأسماء الشريفة في القرآن الكريم، وبقيّة الاستعمالات تتبعها لا محالة، لاشكّ في أنّها تطابق المصاديق التي لها في نفس الأمر؛ ولاشكّ أنّ للحقّ سبحانه كمالات وصفات موجودة حقيقية كشف عنها أو عن بعضها بهذه البيانات القرآنية التي تشتمل على هذه الأسماء بطريق الأفراد تارة، وعن أعيان هذه المعاني بجمل وتركيبات كلامية تارة أُخرىٰ؛ كلّ ذلك في مقام الثناء والحمد وإبداء الكمال. فحمل ذلك كلّه على نفي النواقص ـ على أنّه يوجب رجوع كلّ كمال ذاتي الى عدم وخلوّ الذات عن كمال موجود، مع تراكم البراهين

عليه أوّلاً، وعلى أنّه مع الغضّ عن الكمال الوجودي لا يوجب كمالاً ومزيّة، كما أنّ المعدوم المطلق أيضاً كذلك ثانياً ـ بعيد عن الانصاف واعتساف يكذّبه الوجدان، هذا فالأسماء جلّها تشتمل على معانٍ ثبوتية غير سلبية.

ثمّ إنّ هذه المعاني ليست من غير جنس المعاني التي نفهمها ونعقلها، كما ذكره بعضهم والتزم أنّ هذه الأسماء كلّها إمّا مجازات مفردة وإمّا استعارات تمثيلية بيانية، إذ الذي نفهمه من قولنا:«علم زيد» وقولنا:«علم الله» معنى واحد، وهو انكشاف ما للمعلوم عند العالم، غير أنّا نعلم أنّ علم زيد إنّما هو بالصورة الذهنية التي عنده،وأنّ الله سبحانه يستحيل في حقّه ذلك، إذ لا ذهن هناك، وهذا ليس إلاّ خصوصية في المصداق، وهي لا توجب تغيّراً في ناحية المعنى بالضرورة.

فإذن المفهوم مفهوم واحد، وأمّا خصوصيات المصاديق فغير دخيلة في المفهوم البتة؛ وهذا هو الحقّ الذي عليه أهل الحقّ.

فإذن الميزان الكلّي في تفسير أسمائه سبحانه وصفاته تخلية مفاهيمها عن الخصوصيات المصداقية، وبعبارة أُخرى عن الجهات العدمية والنقص.

وهذا هو الذي يظهر من تفاسير الأئمة عليهم السلام في خطبهم وبياناتهم. فعن **التوحيد**[1] و**نهج البلاغة**[2] في خطبة له عليه السلام:«إنّ

(١) التوحيد: ب ٤٣ ص ٣٠٦ ح ١، الكافي: باب جوامع التوحيد ج ١ ص ١٣٨ ح ٤.

(٢) نهج السعادة في مستدرك البلاغة: ١٤٢ ومن كلام له عليه السلام في بيان عظمة الله. وتنزيهه عن النقائص ج ١ ص ٤٧٤.

ربّي لطيفُ اللَّطافِة، فلا يوصف باللُّطف، عظيمُ العظمة لا يوصف بالعِظَم، كبيرُ الكبرياء لا يوصف بالكِبَر، جليل الجلالة لا يوصف بالغِلَظ، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمّةٍ، درّاك لا بخديعة، هو في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا بائن عنها، ظاهر لابتأويل المباشَرَة، متجلٍّ لا باستهلال رؤية، بائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة»، الخطبة. وبياناتهم عليهم السلام مشحونة بهذا النوع من التفسير، وفي كثير من الأخبار النهي عن التعطيل والتشبيه.

المبحث الثالث [كلّ صفة وجودية فهي له سبحانه]

قد عرفت أنّ صفاته سبحانه هو البحث من كلّ كمال وجودي بنحو الحقيقة؛ وأمّا صفات غيره فحيث إنّ ذاته موجودة بعرض وجوده، فكذلك صفاته. فكلّ صفة وجودية حقيقية خالية من النقص فهي له سبحانه بنحو الانحصار، وكلّ صفة في غيره فهي عرضية.

ويظهر ذلك من معظم موارد هذه الأسماء في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتينِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيمُ﴾[٤].

---

(١) الانعام: ١٨.
(٢) الذاريات: ٥٨.
(٣) الشورى: ١١.
(٤) الحشر: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[١].
وقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٢].
وقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٣] الى غير ذلك من الآيات.
فكلّ ذلك للحصر دون التأكيد، كما يزعمه الزاعمون. وقد بلغ الأمر في بعضها الى التصريح:
قال تعالى: ﴿لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوَاتِ وَ مٰا فِي الْاَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلاّٰ بِاِذْنِهِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ اَيْديهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلاّٰ بِمٰا شاءَ﴾[٥].
وقال تعالى: ﴿اَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾[٦].
وقال تعالى: ﴿وَ لَوْ يَرَى الَّذينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ اَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾[٧].
وقال تعالى: ﴿مٰا لَكُمْ مِنْ دوُنِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصيرٍ﴾[٨] الى غير ذلك.
ثمّ بيّن سبحانه تبعية هذه الأسماء، أعني الكمالات الوجودية الحقيقية، في غيره؛ فقال تعالى: ﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مٰالِكَ الْمُلْكِ﴾[٩]، الآيات.
وقال تعالى: ﴿وَ اَنَّهُ هُوَ اَضْحَكَ وَ اَبْكىٰ * وَ اَنَّهُ هُوَ أمٰاتَ وَ اَحْيٰا *

(١) الروم: ٥٤.
(٢) الانعام: ١٨.
(٣) البقرة: ٢٥٥.
(٤) البقرة: ٢٥٥.
(٥) البقرة: ٢٥٥.
(٦) النساء: ١٣٩.
(٧) البقرة: ١٦٥.
(٨) البقرة: ١٠٧.
(٩) آل عمران: ٢٦.

وَ اَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الأُنْثىٰ ❁ من نُطْفَةٍ إذا تُمْنىٰ ❁ وَ اَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرىٰ ❁ وَ اَنَّهُ هُوَ اَغْنىٰ وَ اَقْنىٰ﴾(١)، الآيات.

وقال تعالى: ﴿ وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ الله ِوَ تَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾(٢)، الآية.

والدليل على أنّه يثبت في هذه الآيات حقائق هذه المعاني بالحصر على نفسه وبالتبع الى غيره أنّه تعالى يثبت مع ذلك هذه المعاني لغيره في آيات أُخر كقوله: ﴿وَ اِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾(٣) وقوله: ﴿وَ اخْتارَ موُسىٰ﴾(٤) الى غير ذلك.

وأصرح من ذلك كلّه ما بيّنه سبحانه في آيات الحشر إذ قال سبحانه: ﴿وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الاَسْبابُ﴾(٥) فبيّن أنّ الأسباب متقطّعة مزيلة يومئذٍ، ومع تقطّع الأسباب وبطلان الروابط لايبقى موضوع لكمال وجودي مستفاد من غيره، كما هو المظنون اليوم، فلا يبقى إلاّ الله وحده، ولا نسبة لأحد إلاّ معه، وبطلت بقية النسب؛ فأبطل حقيقية كمالاتهم وأثبت تبعيتها، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفىٰ عَلَى الله ِمِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله ِالْواحِدِ القَهّارِ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿وَ الاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله ِ﴾(٧).

وقال تعالىٰ ﴿وَلَوْ يَرَى الّذينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعذابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لله ِ

(١) النجم: ٤٣ ـ ٤٨.
(٢) القصص: ٦٨.
(٣) المائدة: ١١٠.
(٤) الاعراف: ١٥٥.
(٥) البقرة: ١٦٦.
(٦) غافر: ١٦.
(٧) الانفطار: ١٩.

جَميعاً إِذْ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبابُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكافِرينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقُّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يُشْرِكُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ما أَغْنىٰ عَنّي مالِيَهْ * هَلَكَ عَنّي سُلْطانِيَه﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيّانا تَعْبُدُونَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ»[٧] الآية.

فكلّ ذلك بيان لكون كمالات الأسماء فيه سبحانه بالاستقلال، وفي غيره بالتبع، هذا.

نعم، ربّما قارن سبحانه بين وصف نفسه ووصف خلقه ممّا أفاضه عليهم، فسبكهما وصفاً واحداً، ولا محالة يُراد حينئذٍ من الوصف المعنى الأعم الشامل لما بالاستقلال وما بالتبع، وذلك بصيغة التفضيل في أربعة عشر اسماً في القرآن، وهي: أعلى، وأكرم، وأعلم، وأرحم الراحمين،

---

(١) البقرة: ١٦٥ و ١٦٦.
(٢) غافر: ٧٣ و ٧٤.
(٣) غافر: ٣٣.
(٤) يونس: ٣٠.
(٥) الحاقة: ٢٨ و ٢٩.
(٦) يونس: ٢٨.
(٧) القصص: ٦٣.

وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وخير الماكرين، وخير الرازقين، وخير الفاصلين، وخير الحاكمين، وخير الفاتحين، وخير الغافرين، وخير الوارثين، وخير الراحمين.

لكنّه سبحانه أثبت بها مزيّة لنفسه وأفضلية، فإنّه سبحانه يزيد على خلقه في أنّ هذه الأوصاف بعد كونها مشتركاً فيها، له سبحانه بنحو الاستقلال ولغيره بالتبع؛ فهو سبحانه أحقّ بالعلوّ والعلم والكرامة، وأشدّ في رحمته، وأصدق في حكمه، وأحسن في خلقه، وخير مكراً، وغير ذلك؛ بخلاف غيره فإنّ هذه الأوصاف فيهم عارضة، متزلزلة البنيان، مشوبة بنواقص الأعدام، مكدرة بكدورات الإمكان، هذا.

ويمكن أن يستشمّ هذا المعنى، وهو تلميح الاشتراك، ممّا وقع من الأسماء بصيغة المبالغة في عشرة أسماء وهي: التوّاب، والجبّار، والخلاّق، والرّزّاق، وعلاّم الغيوب، والغفّار، والقدّوس، والقيّوم، والقهّار، والوهّاب؛ وقد يعدّ منها مثل: الشّكور، والغفور، والقدير، والمتعالي، والرحمن، وذلك بالإشارة الى شدّة هذه الأوصاف فيه سبحانه وشموها بكثرة مواردها لجميع الموجودات، هذا.

وأمّا بقية الأسماء، وهي ثمان وثمانون اسماً، فهي واردة بنحو الإفراد أو الاضافة، غير أنّ ثمانية عشر منها بنحو الإضافة، وقريب من سبعين منها بنحو الإفراد. وهناك معانٍ وصفية مبنية بجمل كلامية، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١] وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ﴾[٢]

---

(١) الشورى: ١١. (٢) الاخلاص: ٣ و ٤.

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾[1]، الآيات.

المبحث الرابع [حيثيات أسمائه تعالى]

وجُلّ هذه الأسماء مشتملة على معانٍ ثبوتية، غير أنّ بينها ترتّباً، كما مرّ إجماله؛ فهو تعالى من حيث إنّ ذاته المقدّسة غير متألّفة من أجزاء عقلية ولا وهمية ولا خارجية، فهو بسيط الذات، أحد؛ وهذه اللفظة لا يستعمل في الإثبات من غير إضافة إلاّ فيه سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[2] ولا يقال: «جاءني أحد» البتة، ويقال: «ما رأيت أحداً»، فينتفي حينئذٍ الواحد والاثنان والجماعة، بخلاف «ما رأيت واحداً»، فإنّه لا ينتفي حينئذٍ إلاّ الواحد دون الاثنين والجماعة. فيظهر أنّ الأحد في اللغة وحدة لا تأبى عن الاجتماع مع الكثرة، بخلاف الواحد؛ فهما كاللا بشرط وبشرط لا. فالأحد وحدة صرفة لا يقع في قبالها كثرة، لا اثنان ولا جمع؛ فهو بسيط الذات. ولذلك لم يصحّ استعماله في الإثبات إلاّ فيه سبحانه، لصرافة وجوده وبساطته وتركّب وجود غيره. فغيره تعالى إذا أخذ واحداً لم يكن كثرة ذاته منظوراً فيه، وإذا أخذ جزء الكثرة انمحت وحدته؛ وأمّا هو تعالى فلا يتصوّر في ذاته كثرة البتة، هذا.

ومن هنا يصحّ استعمال أحد في الإثبات إذا أُضيف، نحو: هو أحد القوم، فافهم.

وهو سبحانه من حيث إنّه ليس له شريك ولا صاحبة ولا ولد، ومن حيث إنّ جميع أسمائه شيء واحد، هو الذات وان تعدّدت

(١) الجنّ: ٣.

(٢) الاخلاص: ١.

مفاهيمها، فهو واحد.

ومن حيث إنّ ذاته ثابتة بذاته وفي ذاته وعلى جميع التقادير، حقّ.

وهو تعالى من حيث حضور ذاته لذاته وانكشافه له وحضور الموجودات عنده، عالم وعليم.

والعليم من حيث كونه موجوداً عند جميع جهات ذات المعلوم، محيط.

ومن حيث كونه حاضراً هناك، شهيد.

وإذا نسبه الى الغيب، علّام الغيوب.

وإذا انتسب الى جميع الغيب والشهادة، فهو عالم الغيب والشهادة.

وإذا لوحظت نسبته الى المبصرات، فهو بصير؛ أو الى المسموعات، فهو سميع.

ومن حيث تحفّظه على المشهودات، حفيظ.

والعليم من حيث إحصائه المعلومات، حسيب.

ومن حيث تعلّقه بالدقائق، خبير.

ومن حيث اتّقانه معلوماته، حكيم.

وهو تعالى من حيث مبدئيته لغيره ـ وهي كون وجود ذاته عين الوجود وصرفه يبتدىء منه وينتهي اليه كلّما فرض غيره ـ قادر وقدير.

والقادر من حيث إنّ إفاضته الوجود من غير اقتضاء من الغير وإيجاب، رحمٰن.

وهو من حيث إنّه مفيض لذات الغير، بارىء.

ومن حيث إنّه جامع بإفاضته لخلق ذاته وأجزائها، خالق.

ومن حيث رحمته الخاصّة وهو السعادة، رحيم.

والرحيم من حيث إفاضته لكلّ دقيق، لطيف.

ومن حيث إنّه رحيم ولطيف، رؤوف.

ومن حيث يحبّ ما تعلّق به رحمته، ودود.

ومن حيث عدم توقّعه في إيصال الرحمة الجزاء، كريم.

والكريم من حيث يجازي بالجميل من يثني عليه، شاكر وشكور.

ومن حيث لايجازي من أساء عليه بتعجيل العقوبة، حليم.

ومن حيث ستره موانع الإفاضة، عفوّ وغفور، كلّ باعتبار.

ومن حيث قبوله وعدم ردّه من به ذلك وقد آب إليه، توّاب وقابل التوب.

ومن حيث إجابته لما يسأله الغير، مجيب.

والقادر الخالق من حيث إنّ ما لمقدوره الممكن فله وهو معه، محيط؛ والمحيط من حيث قربه، قريب.

ومن حيث إنّه محيط لايخلو منه شيء، أوّل يبتدىء منه الشيء، وآخر ينتهي اليه الشيء، وظاهر يظهر به الشيء، وباطن يقوم به الشيء.

والقادر الخالق المحيط من حيث إنّه يمحو ما يتصوّر من المقاومة، ويستهلك المحاط المقدور عليه، ولاتبطل قدرته فيما تتعلّق به، ولاتزلزل قدرته وإحاطته، غالب، قاهر، قويّ، متين، كلّ باعتبار.

وما هذا صفته إذا نُسب إليه المقدور بحقارته، فهو عظيم، كبير؛ أو نسب إليه بدناءته، فهو عليّ، أعلى، متعال.

وإذا توهّم من المقدور مقاومة ومنه إعمال مقدرة وإحاطة، فهو مقتدر.

وإذا زيد على ذلك المجازاة، فهو ذو انتقام.

ومن هذا كلّه وصفه، فهو مجيد.

وإذا انعكس وصفه الكذائي لذاته، فهو متكبّر.

وإذا لوحظ القادر الخالق الرحمن من حيث إنّه يوصل كلّاً الى كماله برحمته، فهو ربّ.

والرّبّ من حيث إنّه يفطر الوجود من العدم، فاطر.

ومن حيث إنّ أمره أعجب الأُمور، بديع.

ثمّ فالق الحبّ والنوى، وفالق الإصباح، أي الصبح إذا طلع، وهو اسم جزئي.

ومن حيث إنّه يفيض الأمن عن وحشة ظلمات العدم وكلّ نقيصة ومحذور، مؤمن.

ومن حيث إنّه يفيض ما لايسوء، سلام.

ومن حيث إنّ ما يفيضه عطية من غير غرض، فهو وهّاب.

ومن حيث إنّه يفيض ما يدوم به بقاء الموجودات بعد إحداثها، فهو رزّاق.

ومن حيث إنّ عطاءه لايوجب نقصاً فيه، فهو واسع.

ومن حيث إنّه هو المؤجل لعطياته، فهو مقيت.

ومن حيث إنّ أعظم الثناء عليه هو ما يفيضه من رحمته، فهو حميد.

ومن حيث إنّه يجبر كلّ كسير، ويتم كلّ منقصة في خلقه، فهو جبّار.

ومن حيث إنّه يقوّي كلّ مغلوب، فهو نصير.

ومن حيث إنّه يلي أمر مخلوقه الذي لايقدر ولايملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فهو وليّ ومولى ووكيل، كلّ من وجه.

ومن حيث إنّه يفيض الحياة، فهو محيي.

ومن حيث إنّه يفيض الصور، فهو مصوّر.

ومن حيث إنّ ذلك كلّه منه إحسان، فهو برّ.

ومن حيث إنّ الرّبّ به يظهر كلّ ما في الوجود، فهو نور؛ ثم هو مبينٌ.

ومن حيث إنّ له كلّ شيء وهو يدبّره، فهو ملك ذو العرش.

ومن حيث إنّ عنده ما عند كلّ شيء من غير عكس، فهو عزيز.

ومن حيث إنّه لايحتاج الى شيء ولا الى ما عند شيء، فهو غنيّ.

ومن حيث إنّ الرّبّ ملك ذو العرش ليس غيره، فهو أحكم الحاكمين، خير الفاصلين والحاكمين والفاتحين.

ومن حيث إنّ الرّبّ يصمد ويرجع اليه المربوبون في حوائجهم، فهو صمد.

والصمد من حيث يطلب منه الراجعون عونه وإعانتهم، فهو مستعان.

والرّبّ من حيث يعبد بالتوجّه اليه، إله.

ثمّ إنّ ما مرّ من الأسماء، غير ثلاثة منها وهو الواحد الأحد الحقّ، واقعة تحت الاسمين: القادر العليم؛ وهما إذا نسبا معاً الى الغير كانت القيومية، فهما تحت الاسم القيوم، وهو تعالى بما أنّه عليم قدير في ذاته فهو حيّ؛ فسيطرة الاسمين ـ الحيّ القيّوم ـ واقعة على جميع الأسماء الثبوتية غير الوحدة، قال تعالى: ﴿اَللهُ لاٰ إِلٰهَ اِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1]، الآية. فبالتوحيد في الآية يتمّ شمولها لجميع الأسماء الثبوتية.

وأمّا السلوب وانتفاء النواقص والأعدام فيجمعها الاسم القدّوس.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

وبجمع الكلّ، أعني الأسماء الثبوتية والسلبية والجلال والجمال والذاتية والفعلية جميعاً، الاسم ذو الجلال والإكرام ﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْـجَلالِ وَالإكْرامِ﴾[١].

فهذا نوع تفرّع الأسماء بعضها على بعض، والترتّب والتنزّل الذي بينها؛ وربما أمكنك بالتدبّر والتأمّل أن تجد بينها مناسبات معنوية أُخرى غير ما ذكرناه، توجب تفرّعات أُخرى؛ وهاك فيما مرّ شجرة[٢].

وأجمع خبر لجميع معاني المباحث السابقة ما في الكافي مسنداً عن ابراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوَّت، وباللفظ غير مُنطَق، وبالشَّخص غير مجسَّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفيٌّ عنه الأقطار، مبعَّد عنه الحدود، محجوب عنه حس كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً، ليس واحد منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أشياء، لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان. لكلّ اسم من هذه أربعة اركان[٣]، فذلك اثنا عشر ركناً؛ ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو الرّحمن، الرّحيم، المَلِك، القدّوس، الخالق، البارىء، المصوّر، الحيّ، القيّوم، لاتأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السّلام، المؤمن، المهيمن، [البارىء]،

---

(١) الرحمن: ٧٨. (٢) راجع صفحة ٦٢.

(٣) في المصدر: «وسخّر سبحانه لكلّ اسمٍ من هذه الاسماء اربعة اركان».

المنشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث؛ فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنىٰ، حتى تتم ثلاثمائة وستين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة اركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، و ذلك قوله عزّ وجلّ:﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الْاَسْماءُ الْحُسْنىٰ﴾[1]،الحديث.

وهو من غرر الأحاديث، يشتمل على وجازته:

على كيفية حقيقية الأسماء وقيام حقائق بعضها ببعض بالظهور والبطون.

وعلى كيفية تكثّرها وتكثّر الأسماء الخاصّة بنسب الأسماء العامّة؛

وعلى كيفية فاقة الخلق اليها، وهو احتياجهم في ذواتهم إليها، وقيام وجودهم بها.

وعلى أنّ هذا الترتّب والتنزّل أمر حقيقي، ليس بالاعتبار اللغوي الأدبي فحسب.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «انّ الله خلق اسماً.. الى آخره»، يريد به التعيّن والتنزّل الأوّل عن الإطلاق الذاتي الذي ينمحي هناك كل اسم ورسم وعين وأثر، وهو المورد الوحيد الذي وجدنا فيه اطلاق لفظ الخلق في مرحلة الأسماء، والمراد به ما عرفت، ويشهد به أنه عليه السلام عدّ اسم الخالق في ذيل الحديث من جملة الأسماء الفرعية.

ويظهر منه أنّ المراد بالاسم الواحد المكنون المخزون هو مقام

---

(١) الكافي: كتاب التوحيد باب حدوث الأسماء ج ١ ص ١١٢ ح ١.

الأحدية، إذ هو المحجوب بهذه الأسماء الثلاثة التي هي الله وتبارك وسبحان، وهي الهوية والجمال والجلال، إذ الخلق محتاجون في تحقّق أعيانهم وصفاتهم وأفعالهم الى هذه الجهات الثلاث: من الهوية وصفات الثبوت وصفات السلب. وأمّا إذا لوحظ الخلق بالنسبة الى مقام الأحدية ففيه ارتفاع موضوعهم من الأعيان وآثارها، كما لا يخفى.

وقد عبّر عليه السلام في مبتدأ كلامه عنه سبحانه بهذه الأسماء الثلاثة أيضاً فقال: «انّ الله تبارك وتعالى.. الى آخره»، ثمّ فسّر عليه السلام قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[1] الآية، بما ذكره من احتجاب الاسم الواحد بالأسماء الثلاثة وتفرّع باقي الأسماء على الثلاثة الحجب؛ وهو ظاهر في أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾ راجع الى هذا الاسم المكنون المخزون، اي راجع اليه سبحانه من حيث إنّه متعيّن بهذا التعيّن الأحدي، إذ الدّعاء توجّه ما، وهو لايكون إلاّ الى متعيّن متبيّن؛ واذ بيّن سبحانه أنّ جميع الأسماء الحسنى له وبأيّ دعا دعا، فالدعاء بجميع الأسماء التي لها تعيّن ما، والمدعو هو الذات من حيث تسميته بها ـ أي هذه الأسماء ـ وهي قائمة بالذات، والذات لانسبة له مع شيء إلاّ مع تعيّن ما، وقد فرض جميع التعيّنات في ناحية الدعاء، فلم يبق إلاّ تعيّن هو عين الاطلاق، وهو مقام الأحدية، اليه ينتهي السائرون بعد طيّ مراحل الأسماء، وعنده تحلّ الرحال، فافهم.

الى ذلك يشير ما في بعض الأدعية، قال عليه السلام: «باسمك المكنون

---

(١) الاسراء: ١١٠.

المخزون الحيّ القيّوم»[١] الدعاء.

وأنت بعد التدبّر فيما مرّ من الكلام يمكنك أن تستخرج معاني أُخر من هذا الحديث الشريف، والله الهادي.

المبحث الخامس [من أسمائه تعالى ضمائر الخطاب والتكلّم والغيبة]

قد عرفت أنّ ذاته سبحانه هي الهويّة الحقيقية العينية التي تقوم وتظهر به كلّ هويّة في الأعيان، ومن هنا يظهر أنّ الأسماء الثلاثة ـ التي للخطاب والتكلّم والغيبة، وهي أنت وأنا وهو ـ ثابتة أسماء له تعالى. فانّها أسماء للهوية باعتبار الخطاب والتكلّم والخلوّ عنهما.

وقد قال سبحانه: ﴿لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ اَنْتَ سُبْحٰانَكَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ اَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿اَللّٰهُ لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ هُوَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿اِيّٰاكَ نَعْبُدُ وَ اِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦]، الآيات.

وأما اسم الإشارة والموصول فقد ورد الاطلاق، لكن لم يتعرّض أحد بالاسمية فيها، قال تعالى: ﴿ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللّٰهُ الَّذي لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ هُوَ﴾[٨].

---

(١) التهذيب: ج ٣ ص ١٢٥.

(٢) الانبياء: ٨٧.

(٣) طه: ١٤.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) فاتحة الكتاب: ٥.

(٦) البقرة: ٢٤٥ وثمان موارد أُخر.

(٧) الانعام: ١٠٢.

(٨) الحشر: ٢٢.

وقال: ﴿اَمَّنْ يُجيبُ الْمُضْطَرَّ اِذا دَعٰاهُ﴾[1]،الآيات.

المبحث السادس [توقيفيّة أسمائه تعالى]

قد شاع في الألسن أنّ أسماء الله تعالى توقيفية، وقد أرسلوه إرسال المسلّمات، وليس المراد بالاسم هاهنا حقيقته، وهو الذات المأخوذ بوصف ما، لعدم رجوعه حينئذٍ الى معنى محصّل؛ بل المراد به الاسم اللفظي، وهو اسم الاسم حقيقة. وحينئذٍ فالمراد من التوقيف إما التوقيف على الرخصة الشرعية الكلّية أو الشخصية، فيمكن توجيه القاعدة بوجهين:

أحدهما: أنّ معاني الألفاظ على المتداول المفهوم عندنا حيث لم تخل عن جهات النقص والأعدام ـ وإن كانت مختلفة من هذة الجهات أيضاً، وذلك مثل الإغواء والمكر والحيلة والإضلال، ومثل الكبير والجسيم ونحوهما ـ ونحن لاتفي عقولنا بإدراك ما هو اللائق بحضرته المقدّسة وتشخيصه وتمييزه عمّا لايليق، احتيج الى ورود رخصة ما في الايقاع والإطلاق، ولضعف العقول عن الشرح والتفصيل في كلّ مورد مورد احتيج الى ورود كلّ اسم أُريد إطلاقه بنحو الاسمية عليه تعالى.

والثاني: أنّ الأمر كذلك، لكن مجرّد ضرب القاعدة بقوله تعالى:﴿وَلله ِالاَسْماءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ في اَسْمٰائِهِ﴾[2]، الآية، يكفي في مقام التعليم وأن نحذر عن إطلاق ما لايليق بساحته المقدّسة بحسب المعاني المفهومة من الألفاظ الدائرة في لغاتنا، هذا.

---

(١) النمل: ٦٢. (٢) الاعراف: ١٨٠.

وهذان وجهان مختلفان بحسب النتيجة، فعلى الاوّل لايجوز اطلاق الاسم ما لم يرد شرعاً، وان علمنا خلوّه عن جهات النقص والأعدام. وعلى الثاني يجوز ذلك، سواء ورد بالخصوص شرعاً أم لا.

والظاهر أنّ مراد أكثر المتمسّكين بهذه القاعدة هو المعنى الأول. وهو عليل، لقوله تعالى: ﴿وَ لله ِ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿الله ُ لاٰ اِلٰهَ اِلاّ هُوَ لَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الله َ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[3] وغير ذلك من الآيات التي تأبى سياقها عن الحمل على العهد الذهني، بل ظاهرها لام الجنس، وقد حلّ بالجمع، فتفيد الاستغراق وانّ كلّ اسم احسن فله تعالى، وقد مرّ تقريبه في الفصول السابقة، مع أنّ مقتضى الاستدلال لزوم التوقّف في كلّ معنى يطلق بلفظ مّا عليه تعالى، أعم من أن يكون بنحو الإفراد والتسمية أو بنحو التوصيف أو الحكاية بجملة أو كلام تام، كما لا يخفى.

وأمّا ما ورد من الروايات: «إنّ لله سبحانه تسعة وتسعين اسماً» كما مرّ نقلها[4]، فليس في مقام الحصر من حيث العدد.

ويشهد بذلك أنّ الأسماء التي درجت فيها، وذلك في روايتين[5] منها، مختلفة متفاوتة؛ وقد أُهمل فيهما شيء كثير من الأسماء الواردة في القرآن كما مرّ.

ويشهد بذلك أيضاً أنّ الرواية الأُخرى، وهي رواية الكافي في خلق

---

(١) الاعراف: ١٨٠. (٢) طه: ٨.

(٣) الاسراء: ١١٠. (٤) المبحث الاوّل من الفصل الرابع.

(٥) قد مرّ نقلها في المبحث الاوّل من الفصل الرابع.

الأسماء المنقولة سابقاً، تثبت من الأسماء الحسنى ثلاثمائة وستين اسماً، بل ظاهر هذه الرواية أنّ الأسماء الحسنى غير مقصورة على مجرّد ما يفيد التسمية من الأسماء كالرحمن الرحيم الملك، بل يعمّ الجمل التي تفيد بمجموع ألفاظها بمعنى لايقاله تعالى[١]، فإنّها عدّت من الأسماء الحسنى لفظة تبارك وسبحان ولاتأخذه سنة ولانوم، وإذا صحّ عدّ مثل هذه الجمل من الأسماء الحسنى صحّ في سائر الجمل التي أُطلق عليه سبحانه في الروايات والخطب والمواعظ والأدعية، وهي على اختلاف مواردها بحيث لايشك المتتبع فيها أنّ هذا النحو من الإطلاق والتوصيف غير موقوف على ورود تحديد شرعي شخصي البتة، وإنّما اللازم في مواردها خلوّها عن إثبات النواقص ومنافيات الكمال، هذا.

فصل ٥

[الاسم الأعظم]

قد عرفت أنّ الأسماء هي حقائق الكمالات الوجودية، وأنّها مترتبة متفرعة، نشأ بعضها من بعض؛ وظاهر أنّ الاسم الذي ينتشأ منه آخر فهو أوسع دائرة وأرفع محلّاً وأعظم أثراً منه، ولايذهب هذا الترتّب والتنزّل أخذاً من تحت الى فوق الى غير النهاية، فما ينتهي اليه جميع الأسماء هو أعظم الأسماء، واليه ينتهي جميع الآثار الوجودية التي لها في دار الوجود.

(١) لايقال إلاّ له تعالى (ظ).

فصل ٦

[الاسم الأعظم في كلمات المعصومين عليهم السلام]

وقد تواترت الآثار من الأخبار والأدعية الصحيحة الواردة عنهم عليهم السلام في وجود الاسم الأعظم، وهي على كثرتها لاتحتاج الى النقل في هذا المختصر، وإنّما المهم بيان شيء آخر، وهو أنّك إذا تأمّلت الأخبار والأدعية وما يثبت فيها من الآثار للاسم الأعظم علمت أنّه الاسم الذي يترتّب عليه كلّ أثر متصوّر، من الإيجاد والإعدام من الإبداء والإعادة والخلق والرزق والإحياء والإماتة والحشر والنشر والجمع والفرق، وبالجملة كلّ تحويل وتحوّل جزئي وكلّي.

ومن الواضح أنّ هذه التأثيرات غير مترتّبة على اسم لفظي، وهو صوت مسموع عرضي قائم بمخارج الفم فان؛ بل صادرة من ناحية المعنى، وهذا المعنى أيضاً غير مؤثّر بما أنّه صورة ذهنية خيالية مثلاً بالضرورة، فإنّها مثل اللفظ، على أنّها فانية في المصداق الخارجي، على أنّ هذا المؤثّر ـ كائناً ما كان ـ فهو مؤثّر بوجوده العيني، ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود في الذهن، فليس الاسم المزبور إلاّ اسماً خارجياً حقيقياً، وهو الذات مأخوذاً بوصف، فهو بعض مراتب الذات المقدّسة؛ نعم هو أرفع المراتب وأعلاها، وهذا هو المراد من اسم الله الأعظم الواردة في الآثار، هذا.

وفي البصائر مسنداً عن عمّار الساباطي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك أُحبّ أن تخبرني باسم الله الأعظم. فقال: إنّك لاتقوى على ذلك. قال: فلمّا ألححت قال: فمكانك اذاً، ثمّ قام فدخل البيت

هنيئة، ثمّ صاح بي: ادخل، فدخلت، فقال لي: ما ذلك؟ فقلت: اخبرني به، جعلت فداك. قال: فوضع يده على الأرض، فنظرت الى البيت يدور بي، وأخذني أمر عظيم كدت أهلك، فضحك عليه السلام فقلت: جعلت فداك، حسبي لا اريد» الرواية(١).

وروى في البصائر أيضاً شبيه القضية عن عمر بن حنظلة وأبي جعفر عليه السلام(٢).

وروى في البصائر أيضاً مسنداً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وانّما عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولاقوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»(٣).

وفي البصائر أيضاً مسنداً عن البرقي يرفعه الى أبي عبدالله قال: «إنّ الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين، يُحيي بهما الموتى ويُبرىء بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً

---

(١) لم نجده في البصائر. نقله البحار عن الكشي: ج ٢٧ ص ٢٧، اختيار معرفة الرجال: في عمّار بن موسى الساباطي ص ٢٥٢ ح ٤٧١.

(٢) بصائر الدرجات: ج ٤ باب ١٢ في الائمة عليهم السلام انهم اعطوا اسم الله الاعظم ص ٢١٠ ح ١.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٠٨ ح ١و٣.

لئلّا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد»[١].

وأنت بعد معرفتك أنّ للنفس الإنسانية أن تفنى في مرتبة من مراتب الذات، ولايبقى حينئذٍ إلاّ تلك المرتبة، تعرف معنى هذه الأخبار؛ ولو كان هناك في الحقيقة لفظ كان حاله حال سائر ألفاظ الدعاء بالنسبة الى الاستجابة.

ومن هنا يظهر أنّ المراد من الحروف في الرواية ليس هو حروف الهجاء، وهو كذلك قطعاً، فإنّ الاحتجاب حينئذٍ غير معقول.

ويؤيّده ما في الخبر«إنّ أحرف الاسم الأعظم متفرّقة في القرآن والإمام يؤلّفها ويدعو بها»[٢]، الخبر.

وفي **العيون وتفسير العياشي**:«إنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب الى اسم الله الاعظم من ناظر العين[٣] الى بياضها»[٤].

ومن هنا يظهر معنى ما ورد عن أئمة أهل البيت:«أنّهم عليهم السلام الأسماء الحسنى»[٥] و «أنّهم اسم الله الأعظم»[٦]، ويظهر ذلك أيضاً من رواية الكافي السابقة.

وإذا تذكّرت تلك الرواية وما ورد في روايات الحجب، علمت أنّ محجوبية الاسم الأعظم واستيثاره في علم الغيب انّما هو بكونه مسلوب

---

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر السابق.

(٣) في المصدرين: من سواد العين.

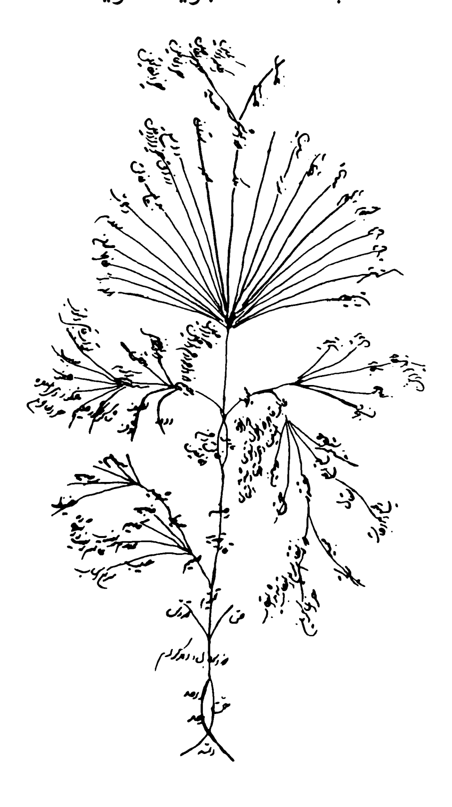
(٤) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ب ٣٠ ص ٥ ح ١١، تفسير العياشي: ج ١ ص ٢١ ح ١٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٤٢ ح ١١٩.

(٦) لم نعثر عليه.

التعيّنات، فلا تصل اليه الأيدي إلاّ بمسألة الفناء، ولا خلق حينئذٍ، والملك يومئذٍ لله. ولعلّ هذا هو المراد باستيثار الحرف الواحد، والله العالم.

تمّ الكلام، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على
محمّد وآله أجمعين، في العشر الاخير من شهر
محرّم الحرام سنة احدى وستين وثلاثمائة
بعد الألف الهجرية القمرية.





رسالة الأفعال

رسالة الأفعال

هو الله
رسالة في أفعال الله سبحانه
وهي الرسالة الثالثة من كتاب التوحيد
وهي آخر الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقرّبين سيّما محمّد وآله الطاهرين.

هذه رسالة وضعنا فيه إجمال القول في أفعال الله سبحانه وما يتفرّع عليها من القول في القضاء والقدر والبداء والسعادة والشقاوة والجبر والتفويض، وسائر ما يشبهها من الهداية والإضلال والمشية والإرادة والتمحيص والاستدراج والغضب والأسف ونحوها، والله المستعان.

فصل ١
[لافعل في الخارج إلاّ فعله سبحانه]

قد برهنّا في «رسالة الأسماء الحسنى» على أنّ كلّ فعل متحقّق في دار الوجود، مع إسقاط جهات النقص عنه وتطهيره من أدناس المادة والقوّة والإمكان. وبالجملة كلّ جهة عدمية، فهو فعله سبحانه؛ بل حيث كان العدم وكلّ عدمي بما هو عدمي مرفوعاً عن الخارج حقيقة، إذ ليس فيه إلاّ الوجود وأطواره ورشحاته، فلا فعل في الخارج إلاّ فعله سبحانه وتعالى، وهذا أمر يدلّ عليه البرهان والذوق أيضاً.

فصل ٢
[الشواهد القرآنية]

ويدلّ على ما مرّ النقل أيضاً، قال تعالى: ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿اَللهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، وفي هذا المعنى آيات كثيرة.

وقال تعالى: ﴿اَلَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه﴾[٣]، فأخبر سبحانه بأنّ كلّ شيء من خلقه، وأنّه حسن.

ثم قال تعالى: ﴿مٰا اَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ مٰا اَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[٤].

---

(١) غافر: ٦٢.
(٢) الرعد: ١٦.
(٣) السجدة: ٧.
(٤) النساء: ٧٩.

وبهذه الآية يتمّ أنّ السيئات، من حيث إنّها سيئات، أُمور عدمية؛ وإنّما أخذنا الحيثية لمكان ما قبل الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَ اِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ اِنْ تُصِبْهم سَيِّئَةٌ يَقولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمٰا لِهٰؤُ لاٰءِ الْقَوْمِ لاٰ يكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَديثاً﴾(١).

وفي الكافي وغيره مستفيضاً عن الرضا عليه السلام: «قال الله: ابنَ آدم! بمشيّتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيّئة فمن نفسك، وذلك إنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى من سيّئاتك منّي، وذلك إنّي لا أسأل عمّا اَفعل، وهم يُسألون»(٢).

وهذا الحديث القدسي من جوامع الكلم، يتضمّن بيان جميع ما ذكر.

وبالجملة فالفعل كلّه من الله، كما مرّ؛ ومع الغضّ عن ذلك النظر فالأفعال كلّها من حيث حسنها له سبحانه.

ثمّ إنّ الذي خصّه سبحانه بالذكر في كلامه أو في ألسنة أوليائه بعض هذه الأفعال، وهي مع ذلك كثيرة، إلاّ أنّها بجملتها على قسمين:

أحدها: أفعاله سبحانه في تفاصيل خلقه وقيمومته، وهي قيامه بلوازم الخلقة وشؤونها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ اَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذي خَلَقَ الْاَرْضَ في يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ اَنْدٰاداً ذٰلِكَ رَبُّ الْعٰالَمينَ ۞ وَ جَعَلَ فيهٰا رَوٰاسِيَ مِنْ فَوْقِهٰا وَ بٰارَكَ فيهٰا وَ قَدَّرَ فيهٰا اَقْوٰاتَهٰا في اَرْبَعَةِ اَيّٰامٍ

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) اصول الكافي: ج ١ باب المشيئة والارادة ص ١٥٢ ح ٦.

سَوٰاءً لِلسّٰائِلينَ * ثُمَّ اسْتَوىٰ اِلَى السَّماٰءِ وَ هِيَ دُخٰانٌ فَقٰالَ لَهٰا وَ لِـلاَرْضِ ائْتِيا طَـوْعاً اَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا اَتَيْنٰا طٰائِعينَ * فَـقَضاٰهُنَّ سَـبْعَ سَمٰـاوٰاتٍ في يَـوْمَـيْنِ وَ اَوْحىٰ في كُلِّ سَماٰءٍ اَمْرَهٰا وَ زَيَّـنّٰا السَّماٰءَ الدُّنْيا بِمَصٰابيحَ وَ حِفْظاً ذٰلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَليمِ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْـعَـرْشِ يُـغْشِي اللَّـيْلَ النَّهٰارَ﴾[2] وقوله تعالى:﴿اَنْزَلَ مِنَ السَّماٰءِ ماٰءً فَأَحيَـا بِهِ الْاَرْضَ بَـعْدَ مَـوْتِها﴾[3]،الى غير ذلك من الآيات المشتملة على أنحاء الأفعال، من القول والكلام والتصوير والتسخير والكتابة والتوصية والإنبات والسوق والسقاية وأمثالها.

وثانيهما: أفعاله تعالى في باب السعادة والشقاوة وما يلحق بهما، قال تعالى:﴿مَنْ كٰانَ يُريدُ الْعٰاجِلَةَ عَـجَّلْنٰا لَهُ فيهٰا مٰا نَشٰاءُ لِمَنْ نُريدُ ثُمَّ جَعَلْنٰا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَ مَنْ اَرٰادَ الْاٰخِرَةَ وَ سَعىٰ لَهٰا سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰئِكَ كٰانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً * كُلّاً نُمِدُّ هٰؤُلاٰءِ وَ هٰؤُلاٰءِ مِـنْ عَطٰاءِ رَبِّـكَ وَ مٰا كٰانَ عَطٰاءُ رَبِّـكَ مَحْظُوراً﴾[4]، الآيات، وهي تدلّ على إجمال القول الكلّي في إفاضته على كلتا الطائفتين وامداده لكلا الجانبين.

ثمّ شرح سبحانه الحال في جانب الشقاء في آيات أُخر، فقال سبحانه: ﴿سَنَسْـتَـدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ * وَ اُمْلي لَهُمْ اِنَّ كَيْدي مَتينٌ﴾[5].

وقال تعالى:﴿إِنّٰا اَرْسَلْنَا الشَّياطينَ عَلَى الْكٰافِرينَ تَؤُزُّهُمْ اَزّاً﴾[6].

وقال تعالى:﴿وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّـضْ لَهُ شَيْطٰاناً فَهُوَ لَهُ

---

(١) فصّلت: ٩ ـ ١٢.
(٢) الاعراف: ٥٤.
(٣) النحل: ٦٥.
(٤) الاسراء: ١٨ ـ ٢٠.
(٥) الاعراف: ١٨٢ و ١٨٣.
(٦) مريم: ٨٣.

قَرِينٌ ❁ وَ اِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ❁ حَتّىٰ اِذٰا جٰاءَنٰا قٰالَ يٰا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿كَذٰلِكَ زَيَّنّٰا لِكُلِّ اُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ الى أن قال: ﴿وَ نُقَلِّبُ اَفْئِدَتَهُمْ وَ اَبْصٰارَهُمْ كَمٰا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلاِسْلاٰمِ وَ مَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِي السَّمٰاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿اِنّٰا جَعَلْنٰا فِي اَعْنٰاقِهِمْ اَغْلاٰلاً فَهِيَ اِلَى الْاَذْقٰانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ❁ وَ جَعَلْنٰا مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنٰاهُمْ فَهُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ﴾ (٤).

الى غير ذلك من الآيات التي تنبىء عن أنّه سبحانه يخرجهم من النور، ويتركهم في ظلمات موحشة متراكمة، ويزيّن لهم سراب الخبائث والسيّئات بصور جميلة حسنة، ويجعل الأغلال في أعناقهم والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم، ويعميهم، ويصمّهم، ويبكمهم، ويقلب أفئدتهم وأبصارهم، ويجرح قلوبهم، ويضيقها، فلا تسع الحقّ، ويلازمهم بقرناء الشياطين ورفقاء الأبالسة، ويستدرجهم، ويملي لهم، ثمّ يحلهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار؛ وأمثال هذه الآيات واردة في جانب السعداء أيضاً.

---

(١) الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨.
(٢) الانعام: ١٠٨ ـ ١١٠.
(٣) الانعام: ١٢٥.
(٤) يس: ٨ و ٩.

ومن هذا الباب آيات أُخر تدلّ على لزوم الأمر، كقوله تعالى: ﴿قالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ اَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ اَجْمَعينَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَلٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنّاسِ اَجْمَعينَ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ اَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها اُولٰئِكَ كَالْاَنْعامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ اُولٰئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾(٣).

ومن هذا الباب ما يدلّ من الآيات على أنّ الأمر مقضي، والقضاء الحتم مفروغ عنه، مكتوب في اللوح المحفوظ، وقد جفَّ القلم؛ قال تعالى: ﴿وَاِذا اَرَدْنا اَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنا مُتْرَفيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْميراً﴾(٤)، ثم قال تعالى: ﴿وَاِنْ مِنْ قَرْيَةٍ اِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ اَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَديداً كانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ اِلاّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾(٦).

وقال: ﴿ما اَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الْاَرْضِ وَلا في اَنْفُسِكُمْ اِلاّ في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَأَها اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ﴾(٧).

وهذا القسم الثاني من الأفعال التي نسبها الحقّ سبحانه الى نفسه

---

(١) ص: ٨٤ و ٨٥.
(٢) السجدة: ١٣.
(٣) الاعراف: ١٧٩.
(٤) الاسراء: ١٦.
(٥) الاسراء: ٥٨.
(٦) الانعام: ٥٩.
(٧) الحديد: ٢٢.

يوجب بحسب ظاهر الآيات السابقة تأثيراً ما للحقّ سبحانه في جميع الأفعال، حتى السيّئات من حيث هي سيّئات؛ وقد عرفت قيام البرهان ونهوض النقل والبيان على خلاف ذلك؛ وهذا هو الموجب لتكلّم القوم في القضاء والقدر والسعادة والشقاوة ونحوها؛ ولا محالة يتبعها النظر الظاهري من حيث نظام التكليف والجزاء والثواب والعقاب والشكر والعتاب، كما ستعرف.

فصل ٣

[عالم المادة ومرتبة القضاء والقدر]

حيث إنّ الموجودات، بعد الحقّ سبحانه وأسمائه وصفاته، ذو مراتب ثلاث، وهي بنحو الكلية، على ما يقطع به البرهان المذكور في «رسالة الوسائط» ثلاثة عوالم: عالم العقل المجرّد، وعالم المثال، وعالم المادة. وهي مترتّبة ترتّب العلّة والمعلول والكمال والنقص؛ وقد فرغنا عن ذلك هنالك. فكلّ ما يوجد في عالم المادة والجسم فصورته مطابقة لما في عالم المثال من الصور، وهي مطابقة لصور عالم العقل المجرّد؛ وينتج ذلك أنّ نظام كلّ سافل منها مثبت في ما فوقها ثبتاً متقناً لا يتطرّق اليه التغيّر والتبدّل، إذ ثبوت وجود في عالم سافل يحتاج الى علّة في ما فوقه، وهي إذا تحقّقت لم تتغيّر، إذ الواقع لايتغيّر عمّا هو عليه، فما يقبل التغيّر من حيث هو واقع فليس بواقع، فقبول العلّة للتغيّر مع تحقّق المعلول ووجوده ووقوعه مستلزم لخلاف الفرض أو الانقلاب المحال، فنظام الوجود في كلّ عالم موجود مثبت في سابقه وما فوقه بنحوٍ ثابتٍ غير متغيّر.

ثمّ إن الحوادث التي في عالم الأجسام، حيث انّها انّما تتمّ وجودها بالمادة، فهي كائنة ما كانت محتاجة الوجود الى استعداد سابق تحمله مادة؛ وتتكثّر الاستعدادات والإمكانات بتكثّر جهات المستعدّ له، ويتسلسل في ضمن موجودات جسمية سابقة بالزمان، كلّما بعد حامل الاستعداد عن المستعدّ له قلّ تخصّصه وتعيّنه في ضمن المستعدّ وزاد إبهامه واشتدّ إجماله وكثرت نسبته الى أُمور يمكن وجودها فيه، وكلّما قرب من المستعدّ له كثر تخصّص المستعدّ له وتعيّنه حتى يتمّ الاستعداد ويتّصف بصفة الوجود، وحينئذٍ يتمّ تعيّنه وتشخّصه وامتنع تبدّله لعدم إبهام فيه، واستحال تغيّره عمّا هو عليه.

مثال ذلك الإنسان مثلاً، فإنّه قبل تمامية صورته الإنسانية علقة ونطفة مثلاً، وقبل ذلك مركّب غذائي، وقبل ذلك مركّب نباتي مثلاً، وقبل ذلك مركّب عنصري، وقبل ذلك عنصراً وعناصر بسيطة؛ وهو حين كونه في مرتبة العنصر يمكن أن يصير واحداً من أُلوف من المحتملات، حتى يتخصّص بأُلوف من الاستعدادات والفعليات، فيصير مركّباً عنصرياً مخصوصاً يبطل غيره من الممكنات والمحتملات جميعاً، ولايبقى غير ما هو صار كذلك، ويمتنع تغيّره عنه الى غيره، إذ المفروض بطلان استعداده؛ ولايزال كلّما قرب من أُفق الإنسان بطلت عدّة من الاستعدادات، وسدّ طريق جمع من المحتملات، حتى يصير انساناً، ويبطل حينئذٍ جميع ما يمكن أن يكون هو إلاّ الإنسانية، وامتنع أن لايكون إنساناً ويتغيّر عنها الى غيرها،إذ الغير باطل زائل؛ كلّ ذلك ممّا لاشكّ فيه.

وقد تبيّن أنّ المانع في مرتبة تمامية الوجود عن التغيّر، كما مرّ، إنّما هو

الوجود التامّ الذي يترتّب به على الشيء آثاره، إذ وجود الشيء نفس الشيء، ومع فرض نفس الشيء كالإنسان مثلاً يمتنع تغيّره عن نفسه، أي فرض الإنسان ووقوع الإنسان موقعه، فافهم ذلك.

واعلم أنّ هذا غير التغيّرات والتبدّلات التي في هذا العالم، فإنّ تغيّر الإنسان مثلاً الى التراب وغيره ليس تغيّراً في وجود الصورة الإنسانية، وإنّما هو ارتفاع وجود الإنسان عن المادة ونزول صورة التراب اليها، فالتغيّر إنّما هو في المادة الغير التامّة إلاّ بصورتها، وأمّا وجود الصورة فليس فيه تغيّر، وانّما هو البطلان، وفي الحقيقة انّما هو انتهاء أمد وجود وابتداء أمد وجود آخر.

وبالجملة، فالوجود الخارجي مانع عن طروق التغيّر والتبدّل، وهو الذي يلزمه آخر التفاصيل الواقعيّة للشيء في ذاته وآثاره ونسبة[1] الخارجية مع ارتفاع إبهامه من كلّ وجه؛ وإذا كان ذلك كذلك، وجميع استعدادات الوجودات المادية والحوادث الإمكانية وحوامل تلك الاستعدادات أيضاً موجودة في الخارج، فهي أيضاً ممتنعة التغيّر عمّا هي عليها؛ فجميع الوجودات التي يتركّب منها عالم الأجسام ويستقرّ عليها نظامه أُمور ثابتة بهذا النظر غير قابلة للتغيّر، وانّما تقبل التغيّر لا في أنفسها بل بقياس بعضها الى بعض ونسبته؛ فالنطفة من حيث إنّها نطفة غير قابلة التغيّر عمّا هي عليها، ولا استعدادها لأن يكون إنساناً أو جسماً آخر بما هو استعداد موجود قابل للتغيّر، ولا مادتها الحاملة للاستعداد في أنّها مادة قابلة للتغيّر، وانّما المادة إذا أُضيفت الى الصور الحاصلة فيها تقبل أن

---

(١) نسبه (ظ).

تتحصّل بإحداها وأقربها مثلاً صورة الانسان.

وبالجملة، فهذا النظام الجسماني بأجزائها نظام غير قابل للتغيّر، مثل النظام في عالمي المثال والعقل المجرّد، غير أنّ في ضمنه نظاماً آخر لقبول التغيّر غير مؤثّر قوّته في فعليته.

وحيث ثبت بالبرهان اشتمال عالم المثال لنظام هذا العالم بجميع تفاصيلها، واشتمال عالم العقل المجرّد لتفاصيل عالم المثال، ففيهما من تفاصيل نظام هذا العالم المادي قسم يقبل التغيّر في مرتبة وقوعه في عالم المادة وقسم لايقبل التغيّر بتاتاً؛ وحيث إنّ عالم المثال شبح ومثال لعالم العقل المجرّد كان ثبوت الحكم بقسميه بالحقيقة هناك، فافهم، وأحسن التأمل فيه.

فتبيّن من جميع ما مرّ أنّ لوجود الحوادث مرتبتين سابقتين عليها: مرتبة لاتقبل التخلّف عن الوقوع والتغيّر عن ذلك، وهو الذي نسمّيه بالقضاء الحتم؛ ومرتبة تقبل التخلّف والتغيّر، كمرتبة مقتضياتها وعللها الناقصة والاستعدادات، وهي التي نسمّيها بالقدر، وهو القابل لوقوع المحو والإثبات وهو البداء.

وتبيّن أيضاً أنّ هذا التقسيم فيما يقبل التركيب في وجوده، وأمّا ما لايقبله كالمجرّدات المحضة فليس فيها إلاّ القضاء فحسب.

فصل ٤

[الشواهد الروائية]

ويدلّ على ما مرّ النقل أيضاً، وقد مرّ بعض الآيات في ذلك.

وفي **المحاسن** مسنداً عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدّره قضاه، فاذا قضاه أمضاه»[١].

وفيه مسنداً عن محمد بن اسحاق، قال: قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: «يا يونس لاتتكلّم بالقدر.

قال: لا أتكلّم بالقدر، ولكن أقول لايكون إلاّ ما أراد الله، وشاء، وقضى، وقدّر.

فقال: ليس هكذا أقول، ولكن أقول: لايكون إلاّ ما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى.

ثمّ قال: أتدري ما المشيئة؟ فقال: لا.

فقال: همّه بالشيء. أوَتدري ما أراد؟ قال: لا.

قال: إتمامه بالمشية.

فقال: أوَتدري ما قدر؟

قال: لا.

قال: هو الهندسة بالطول والعرض والبقاء.

ثمّ قال: إنّ الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدّره، وإذا قدّره قضاه، وإذا قضاه أمضاه»[٢]، الخبر.

وفي خبر آخر: «فذلك الذي لامردّ له»[٣].

---

(١) المحاسن: باب الارادة والمشية ص ٢٤٣ ح ٢٣٥، بحار الانوار: ج ٥ ص ١٢١.

(٢) المحاسن: ص ٢٤٤ ح ٢٣٨، بحار الانوار: ج ٥ ص ١٢٢.

(٣) المحاسن: ص ٢٤٤ ح ٢٣٧.

وفي **التوحيد** مسنداً عن زرارة، عن عبدالله بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام «قال: سمعته يقول: إنّ القضاء والقدر خلقان من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء»(١).

أقول: وذيل الخبر إشارة الى البداء، وصدره إشارة الى ما بيّناه من كونهما مرتبتين من الوجود، وإن كانا من مراتب العلم من جهة أُخرى، كما تشير اليه أخبار أُخر.

ففي **التوحيد** عن المفسّر بإسناده الى العسكري عليه السلام فيما يصف به الرّب: «لايجوز في قضيته، الخلق الى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في كتابه ماضون، لايعملون خلاف ما علم منهم، ولاغيره يريدون»(٢)، الخبر.

وفي **المحاسن** مسنداً عن داود بن سليمان الجمّال، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة، فقال: «هذا كلام خبيث، أنا على دين آبائي، لا أرجع عنه، القدر حلوه ومرّه من الله، والخير والشرّ كلّه من الله»(٣).

أقول: والأخبار بهذا اللسان أيضاً مستفيضة.

وفي **علل الشرائع** مسنداً عن عمر بن بشر البزاز، عن الباقر عليه السلام في حديث: «والله لقد خلق الله آدم للدنيا، وأسكنه الجنّة ليعصيه، فيردّه الى ما خلقه له»(٤).

---

(١) التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٤ ح ١. (٢) التوحيد: ب ٢ ص ٤٧ ح ٩.
(٣) المحاسن: ج ١ كتاب مصابيح الظلم ب ٤٤ ص ٢٨٣ ح ٤١٧.
(٤) علل الشرائع: ج ٢ ب ٣٨٥ ص ٥٧٨ ح ٣.

أقول: والأخبار في هذا المساق أيضاً مستفيضة على تعلّق القضاء والقدر بالمعاصي أيضاً، وان لم يتعلّقا بها من حيث إنّها كذلك.

وأجمع خبر في ذلك ما استفاض نقله عن علي عليه السلام: «أنّه جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر.

فقال: بحر عميق فلا تلجه.

فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: طريق مظلم فلا تسلكه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: سرّ الله فلا تتكلّفه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أما إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟

قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلّموا على أخيكم، فقد أسلم وقد كان كافراً.

قال: وانطلق غير بعيد، ثم انصرف اليه، فقال له: يا أمير المؤمنين أبالمشية الأُولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: وإنّك لبَعدُ في المشية! أما انّي سائلك عن ثلاث لايجعل الله لك في شيء منها مخرجاً، أخبرني أخلق الله العباد

كما شاء أو كما شاؤوا؟

فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟

فقال: لما شاء.

قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟

قال: يأتونه كما شاء.

قال: قم فليس اليك من المشية شيء»[١].

أقول: استدلّ صلوات الله عليه بثبوت القدر، وهو تأثير الحقّ سبحانه في تفاصيل الموجودات وصدور أفعالها ومنها الإنسان بالصفات وسبقها على الأفعال؛ فإنّ سبق الرحمة يقتضي إيجاد مقتضاها، وهي تقتضي مرحوماً؛ كما أنّ سبق صفة المغفرة يقتضي ذنباً يقع عليه المغفرة، كما في الخبر: «لولا أنّكم تذنبون لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون»[٢].

وأمّا ذيل الخبر فيشير الى أنّ مشية الحقّ سبحانه هي الغالبة القاهرة على كلّ حال، وهو عليه السلام وان لم يصرّح إلاّ أنّ فحوى الكلام يدلّ على أنّه يقول فيه على صفات الحقّ سبحانه المناسبة له، كالقدرة والقهر والملك، كما يفسره قوله عليه السلام في خبر آخر، وقد سُئل عن القدر، فقال عليه السلام: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها».

فقيل: يا أمير المؤمنين إنّما سألناك عن الاستطاعة التي بها

---

(١) التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٥ ح ٣.

(٢) جامع السعادات: التلازم بين الخوف والرجاء ج ١ ص ٢٨٧.

نقوم ونقعد ونقبض ونبسط.

فقال: استطاعة تملك مع الله أم دون الله؟ فسكت القوم ولم يحروا جواباً.

فقال عليه السلام: إن قلتم إنّكم تملكونها مع الله قتلتكم؛ وإن قلتم دون الله قتلتكم.

فقالوا: كيف نقول ياأميرالمؤمنين؟

قال: تملكونها بالذي يملكها دونكم، فإن أمدّكم بها كان ذلك من عطائه، وان سلبها كان ذلك من بلائه. إنّما هو المالك لما ملّككم، والقادر لما عليه أقدركم، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوّة حيث يقولون لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[١]، الخبر.

وفي **التوحيد** مسنداً عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «كما أنّ بادىء النعم من الله وقد نحلكموه، كذلك الشرّ من أنفسكم وان جرى به قدره»[٢].

أقول: وهذا الخبر في معنى سابقه؛ وجملة المعنى: أنّ الإيجاد كالوجود له سبحانه بالاستقلال، ولغيره سبحانه بالتبع وبه سبحانه.

ويدلّ عليه أيضاً ما في **التوحيد** مسنداً عن الزهري قال: قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟

فقال: إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لايحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا؛ كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف

---

(١) بحار الانوار: ج ٥ ص ١٢٣.

(٢) التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٨ ح ٦.

الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لم يحسّ؛ ولو لم يكن العمل بموافقته من القدر لم يمضِ ولم يتم؛ ولكنهما باجتماعهما قويا»[١]، الخبر.

وفي الكافي والتوحيد مسنداً عن المعلّى، قال: سئل العالم عليه السلام: كيف علم الله؟

قال: عَلِم، وشاء، وأراد، وقدّر، وقضى، وأمضى. فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد. فبعلمه كانت المشية، وبمشيته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدّم على المشية، والمشية ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء. فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء. فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها أعياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبَّ وما درج من إنس وجنّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس فلله تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وإنشائها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير قدّر أقواتها وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك

---

(١) التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٨ ح ٦.

تقدير العزيز العليم»[١].

أقول: ويستفاد من هذه الرواية جلّ ما بيّناه في الفصل السابق.

وقد تبيّن به مورد القضاء والقدر، كما مرّ، وأنّ البداء مورده القدر، على أنّه المصحّح له أيضاً.

وقد روى العيّاشي عن الباقر أنّه قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «لولا آية في كتاب الله لحدّثتكم بما يكون الى يوم القيامة. فقلت له: أية آية؟ قال: قول الله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُم الكتاب﴾»[٢].

ومثله في التوحيد عن أميرالمؤمنين عليه السلام[٣]. والأخبار الواردة في ثبوت البداء فوق حدّ الاستفاضة، تركنا نقلها إيثاراً للاختصار.

وفي المحاسن مسنداً عن حريز و عبدالله بن مسكان قالا: قال أبوجعفر عليه السلام: «لايكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ بهذه الخصال السبعة: بمشية، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل؛ فمن زعم أنّه يقدر على نقض واحدة منهنّ فقد كفر»[٤].

أقول: وهي إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَ يَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّما اَمْرُهُ اِذا اَرادَ شَيْئاً اَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦].

---

(١) اصول الكافي: ج ١ ب ٤٧ ص ١٤٨ ح ١٦، التوحيد: ب ٥٠ ص ٣٣٤ ح ٩.

(٢) تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٢١٥.

(٣) التوحيد: ٤٢ باب حديث ذِعلب ص ٣٠٥.

(٤) المحاسن: ص ٢٤٤ ح ٢٣٦، بحار الانوار: ج ٥ ص ١٢١.

(٥) ابراهيم: ٢٧.

(٦) يس: ٨٢.

وقوله تعالى: ﴿انّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الاوُلىٰ وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ما اَصابَ مِنْ مُصيبةٍ اِلاَّ بِاِذْنِ اللهِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ما خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما اِلاّ بِالْحَقِّ وَ اَجَلٍ مُسَمّىٰ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ اَجَلٍ كِتابٌ﴾[٥]، وأمثال هذه الآيات.

واعلم أنّ أخبار هذا الباب مثل باب السعادة والشقاوة والجبر والتفويض على ثلاثة أقسام: قسم منها متعرّض لحقائق الأُمور، وقسم منها يكتفي ويجري مع الناس بحسب ظاهر حالهم، وقسم ينهي عن التعرّض لهذه الأبحاث، كما مرّ في الخبر عن أميرالمؤمنين عليه السلام:«طريق مظلم فلا تسلكه.. الى آخره».

وفي تفسير القمّي: وفي حديث آخر:«سُئل ـ يعني الصادق عليه السلام ـ هل بين الجبر والقدر منزلة؟ قال: نعم. فقيل: ما هو؟ فقال: سرّ من أسرار الله»[٦]، الخبر. ومن المعلوم أنّ جواباتهم عليهم السلام على قدر أفهام السائلين والسامعين، على اختلاف مراتبهم.

فصل ٥

[السعادة والشقاوة الذاتيتان]

الأنواع التي لها نفوس مجرّدة تجرّد؛ أمّا هي في أوّل وجودها أنواع

---

(١) القمر: ٤٩.

(٢) القصص: ٧٠.

(٣) التغابن: ١١.

(٤) الاحقاف: ٣.

(٥) الرعد: ٣٨.

(٦) تفسير القمّي: مقدمة الكتاب ص ٢٤.

مادّية محضة، ثم تتحرّك ذواتها بالحركة الجوهرية وتصير مجـرّدة تجـرّداً خيالياً وتقف هناك، أو تتجاوز عنه بالحركة الجوهرية فتصير مجرّدة تجرّداً عـقلياً كـلياً، وذلك في بـعض أفـراد الإنسـان. فـهذه الأنـواع جمـيعاً جسمانية الحدوث روحانية البقاء، فهذه الأنـواع ذوات النـفوس أنـواع متوسّطة، خلافاً لجميع الفلاسفة المتقدّمين من حـكماء مـصر واليـونان وغيرهم وقدماء حكماء الإسلام.

والإنسان من بينها خاصّة ـ ويمكن أن يلحقه بعض الحـيوان ـ نـوع متوسّط تحته أنواع كثيرة تتصوّر بعد تجرّده بصورها ويـقف دونهـا، أو يتجاوزها الى صور عقلية ويقف دونها.

وحيث إنّ العود مثل البدء أو عينه بوجه، فالنوعية الأخيرة التي يرتقي إليها ويقف دونها الإنسان هي المـرتبة التي مـنها نـزل، وان كـان بـين المرتبتين ـ أعني البدء والعود ـ فرق، وسيجيء الإشارة اليه. هذه أُصول تفرّد بوصفها والبرهنة عليها صدر المتألهين قدّس سرّه.

وبعد وضعها نقول: التجارب التام يفيد أنّ بـين خـصوصيات أبـنية الأبدان وأمزجتها وبين الأخلاق ارتباطاً تاماً. والأخلاق مـلكات، أي علوم راسخة تتلبّس بها النفس بواسطة الأحوال وتكرّرها، حتى ترسخ وتثبت ثبوتاً غير جائز الزوال. والتجارب أيضاً حاكم بـتأثير التربـية وخاصّة التربية التعليمية بالتلقين. وهذا يفيد أنّ تأثير أوضاع الأبدان في باب انتشاء الأخلاق ليس على حدّ الإيجـاب، بـل بـنحو الاسـتعداد الشديد، غير أنّ للخلق حدّاً يستحيل معه زواله، هذا.

فالنفس أوّل ما تحدث بحركة البدن الجوهرية حيث يأخذ الخـيال في

الفعل، وهي حينئذٍ متلوّنة بلون البدن تلوّناً قوياً، إلاّ انّه غير بـالغ بـعد مرتبة اللزوم؛ ثم تخلى هي وما بـين يـديها مـن نـوع التربـية والعـلوم والاعتقادات والحوادث المرتبطة بها المتماسّة معها، فلا تزال تسلك سبيلاً بعد سبيل، وتتراكم عليها الأحوال والاعتقادات، وينتج بعضها بـعضاً، حتى ترسخ فيها رسوخاً غير مفارق؛ وهذه صورة نفسانية تـفرق بهـا نفس عن نفس، وهو تنوّع النفس. فإن كانت صـورة سـعادة فـتقع في البرزخ في سبيل السعادة، وإن كانت صورة شقاوة ففي سبيل الشـقاوة، وإن كان تجرّدها تجرّداً برزخياً وقفت دونه، وإن تجاوزته تجاوزته، هذا.

بقي هنا شيء، وهو أنّ كمال كلّ معلول وغاية وجوده هو وجود علّته، ومن المستحيل أن يتكامل معلول فيتجاوز كمال علّة وجوده والمرتبة التي فيها وجودها؛ ومن المستحيل أن يتكامل معلول ويطوي جميع مـراتب كماله الوجودي فلا ينتهي الى مرتبة علّته، أي لا يتصل الى حدّ بعده علّته، وإلاّ لزم خلاف الفرض؛ ومن المستحيل أيضاً أن يلغى غاية عـلّة مـن العلل الطولية المجرّدة من فعلها، إذ المـفروض أنّهـا مجـرّدة ثـابتة غـير متغيّرة، ومعلولاتها انّما صدرت عنها بهذه الحيثية، وهي غـير مـتغيّرة، ففرض تخلّف غاياتها أو غايات معاليلها محال.

ومن هذه المقدّمات يستنتج أنّ الشيء في عوده انّما يستقرّ في مـرتبة تعيّنت منها ذاته، وفوقه علّته؛ فكلّ شيء يعود الى ما بُدئ منه، غير أنّ بين البدو والعود فرقاً من حيث إنّ العود يـنشعب الى دار سـعادة ودار شقاوة، والبدو لم ينشعب إليها، بل هي دار سعادة فحسب؛ لكن يجب أن يعلم أنّ السعادة في البدو انّما هي السعادة العامّة دون السعادة الخاصّة التي

تقابلها الشقاوة، فلا منافاة بين سعادة البدء وتعيّن ذات الشقي منها وعوده الى تلك المرتبة وهو شقي، والبدء والعود مع ذلك واحد، فافهم إن كنت من أهله إن شاء الله تعالى.

وقد تقدّم أنّ النظام العقلي في عالم المجرّدات والنظام المثالي في عالم المثال وأحد وجهي النظام الجسماني في عالم الأجسام نظام ثابت غير متغيّر، فكيفما كان تعيّن النوع الجسماني ـ ومنها الإنسان الذي هو جسماني الحدوث ـ من سعادة وشقاوة فكذلك يعود، هكذا ينبغي أن تفسر السعادة والشقاوة الذاتيتان، دون ما يترائى من ظاهر لفظهما، حتى يلزمه بطلان تأثير التربية ولغوية التكاليف واختلال نظام التشريع، وبالجملة بطلان المجازاة والثواب والعقاب، والله الهادي.

واعلم أنّ ما ذكرناه في هذا الفصل كلّه مبرهن عليه، غير أنّا أشرنا الى برهان بعض وأضربنا عن بعض لطول مقدّماتها وترتّبها على أُخرى، من أرادها فليراجع المطوّلات.

فصل ٦

[الدلائل النقلية من الكتاب والسنّة]

والنقل أيضاً يدلّ على ما مرّ، فإنَّ الآيات المذكورة في الفصل الثاني وان دلّت على أنواع مقت الله للأشقياء وإضلالهم عن طريق الهداية والمكر معهم وأقسام التصرّف في باطنهم، إلاّ انّا إذا رجعنا اليها وتأملنا فيها وجدنا أنّ أفعال الحقّ وتصرّفاته فيهم معلّل بالشرور التي في أنفسهم ومترتّب على فسوقهم وكفرهم وطغيانهم: ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ

الْـفاسِقينَ﴾[١] ﴿وَ اللهُ لاٰ يَـهْـدِي الْـقَـوْمَ الظّٰالِمينَ﴾[٢] ﴿وَ ما ظَلَمَـهُمُ اللهُ وَلٰكِنْ كٰانُوا اَنْـفُسَـهُمْ يَـظْلِمُونَ﴾[٣].

وقطع نوال الهداية عمّن أعرض عنها وتخليته وضلالته لاينافي عموم عدله سبحانه وشمول رحمته، فإرسال هذه النقمات وتـلبيسهم بـأقسام ملابس الشقاء معلّل بأنفسهم؛ وأمّا ابليس وإغوائه للأشقياء فليس ذلك لتسلّطه الذاتي عليهم، بل لتسليطهم إيّاه على أنفسهم باتّباعهم ايّاه لغيّهم في ذاتهم.

قال تعالى حكاية عن ابليس: ﴿وَلاُغْوِيَـنَّهُمْ اَجْـمَعينَ * اِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْـمُـخْلَصين * قٰالَ هٰذٰا صِرٰاطٌ عَلَيَّ مُسْتَـقيمٌ * اِنَّ عِبٰادي لَـيْسَ لَكَ عَلَـيْهِمْ سُلْطٰانٌ اِلاّٰ مَنِ اتَّـبَعَكَ مِنَ الْغٰاوينَ﴾[٤].

وقال تعالى أيضاً حكاية عنه لعنه الله فيما يخاطبهم به يوم القيامة: ﴿وَ قٰالَ الشَّـيْطٰانُ لَـمّٰا قُضِيَ الْاَمْرُ اِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْـحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَاَخْلَفْتُكُمْ وَ مٰا كٰانَ لي عَلَـيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ اِلاّٰ اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْـتَجَـبْتُمْ لي فَلاٰ تَلوُمُوني وَ لوُمُوا اَنْـفُسَكُمْ مٰا اَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مٰا اَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ اِنّي كَفَرْتُ بِمٰا اَشْرَكْـتُمُونِ مِنْ قَـبْلُ اِنَّ الظّٰالِمينَ لَـهُمْ عَذٰابٌ اَليمٌ﴾[٥] الآية.

فحمل إبليس أيضاً الذنب عليهم أنفسهم، وعلّل العذاب بالظلم دون الاتّباع واستجابة الدعوة، وكلّ ذلك إحالة الى الذات، وحكى سبحانه الاعتراف بذلك منهم أنـفسهم وهـم مـعذّبون: ﴿رَبَّـنٰا غَـلَبَتْ عَـلَـيْنٰا

---

(١) المائدة: ١٠٨.
(٢) البقرة: ٢٥٨.
(٣) آل عمران: ١١٧.
(٤) الحجر: ٣٩ ـ ٤٢.
(٥) ابراهيم: ٢٢.

شِقْوَتُنا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِهِ﴾[٢]،الآية. فذات سعيدة وذات شقية، وحيث رجع الشقاء الى الذات وهي وان وقعت أفعالها في خارج عنها وانفعالاتها عن الخارج عنها لكن من المعلوم أنّ أفعالها وانفعالاتها وخاصّة ما يرجع الى باطنها منها لايخرج عن نفسها ودائرة ذاتها، وقد قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسٰاءَ فَعَلَيْها﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنَّمٰا بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَ مٰا يَمْكُرُونَ إِلاّٰ بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَ مٰا يَخْدَعُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ﴾[٦]،الآية.

واذا كان كذلك فكلّما قصدت فعلاً أوأرادت غاية لم يخرج ذلك عن نفسها، وانّما قصدت صورة حسنة أو سيّئة من صور نفسها، وهذه حقيقة. فالغاية كمال للفاعل، والفعل من شؤونه وجهاته وأطواره، على ما بيّن في محلّه.

وإذا كان كذلك فهذه الصور السيّئة التي تكتسبها الذات الشقية تزيد وتنمو وتتراكم عليها، حتى تعميها وتصمّها وتقلب أفئدتهم، وتزيّن لهم كلّما يصدّ عن سبيل الله، ويجعل الرجس على قلوبهم، وتجعلها مأوى للقرين من الشياطين، الى آخر ما أوعدهم الله سبحانه كلّ ذلك بسير ذواتهم في هذه الظلمات وتلبسها بملابسها. قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

(١) المؤمنون: ١٠٦.
(٢) الاسراء: ٨٤.
(٣) فصّلت: ٤٦.
(٤) يونس: ٢٣.
(٥) الانعام: ١٢٣.
(٦) البقرة: ٩.

ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾[١]،الآية. فهم بشقائهم الذاتي يسلكون سبيل النار: ﴿وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً﴾[٢]، الآية. ولا يزالون يقطعون مرحلة قد هيّأُوها بسابق أعمالهم بعد مرحلة، حتىٰ يحلّوا دارالبوار جهنّم يصلونها وبئس القرار.

ويؤيّد ما مرّ طوائف من الأخبار.

منها:أخبار السعادة والشقاوة، في **الأمالي** مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «الشقيُّ من شَقِيَ في بطن اُمّه، والسعيد من سعد في بطن اُمّه»[٣]،الخبر. وهو خبر مستفيض رواه جمع بطرق مختلفة من الخاصّة والعامّة.

وفي **قرب الإسناد** عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن الرضا عليه السلام في حديث: ثم قال: «إنّ النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً، وتكون علقة ثلاثين يوماً، وتكون مضغة ثلاثين يوماً، وتكون مخلّقة وغير مخلّقة ثلاثين يوماً، وإذا تمّت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى اليها ملكين خلاقين، يصوّرانه، ويكتبان رزقه وأجله وشقياً أو سعيداً»[٤]،الخبر.

وهذا المعنى وارد في روايات اُخر أيضاً.

وفي **التوحيد** و**المحاسن** مسنداً عن ابن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:«إنّ الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه؛ فمن

---

(١) الذاريات: ٥٩. (٢) الجن: ١٧.

(٣) الأمالي: مجلس ٧٤ ص ٣٩٥ ح ١.

(٤) قرب الاسناد: ص ١٥٤ و ١٥٥، بحار الانوار: ج ٥ ص ١٥٤.

علمه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شراً أبغض عمله، ولم يبغضه؛ وإن علمه شقياً لم يحبّه أبداً؛ وإن عمل صالحاً أحبّ عمله، وأبغضه، لما يصيّره اليه؛ فإذا أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً»[١]، الخبر.

وفي **البصائر** مسنداً عن محمد بن عبدالله، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «خطب رسول الله الناس، ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه، فقال: أتدرون ما في كفّي؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: فيها أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيامة. ثم رفع يده اليسرى فقال: أيّها الناس أتدرون ما في يدي؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال: أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيامة.

ثم قال: حكم الله وعدل، وحكم الله وعدل، فريق في الجنّة وفريق في السعير»[٢]، الخبر. وروى هذا المعنى في **المحاسن**[٣] أيضاً.

ومنها: ما يدلّ على أنّ العود الى ما كان منه البدو؛ في **العلل** مسنداً عن أبي اسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام في حديث طويل: «ثمّ قال: أخبرني يا ابراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدأ شعاعها في البلدان، أهو بائن من القرص؟

قلت: في حال طلوعه بائن.

---

(١) التوحيد: ب ٥٨ ص ٣٥٧ ح ٥، والمحاسن: كتاب مصابيح الظلم ص ٢٧٩ ح ٤٠٥.

(٢) بصائر الدرجات: ج ٤ ص ١٩٢ ح ٤.

(٣) المحاسن: كتاب مصابيح الظلم ص ٢٨٠ ح ٤٠٩.

قال: أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود اليه؟ قلت: نعم.

قال: كذلك يعود كلّ شيء الى سنخه وجوهره وأصله»[١]، الخبر.

وهذا المعنى مع التمثيل متكرّر في أحاديث الطينة، وفيه لطائف من المعاني.

وفي الأمالي وتفسير القمّي في حديث، قال: «خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدٍ وضال؛ الى أن قال: كما بدأكم تعودون، من خلقه الله شقياً يوم خلقه كذلك يعود اليه، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود اليه سعيداً.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الشقي من شقي في بطن أُمّه، والسعيد من سعد في بطن أُمّه»[٢]، الخبر.

أقول: وفي أوله اشارة الى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[٣].

ومنها: أخبار الطينة، وهي أخبار كثيرة جدّاً، تدلّ على اختلاف ما في مضامينها على أنّ سنخ السعداء والأشقياء وأصلهم الذي خلقوا منه وبدأوا عنه ـ وهو المعبَّر عنه فيها بالطينة ـ مختلف؛ فطينة السعداء من عالم النور والجنّة وعلّيين والأرض الطيبة والماء العذب الفرات ومآل الجميع واحد كما سنشير اليه ان شاء الله؛ وطينة الأشقياء من عالم الظلمة والنار

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ب ٦٠٩ ص ٣٧٣ ح ٨١.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٢٦ في تفسير آية ٢٩ من الاعراف. الامالي: مجلس ٧٤ ص ٣٩٥ ح ١.

(٣) التغابن: ٢.

وسجّين والأرض السبخة الخبيثة والماء الأُجاج، ومآل الكل واحد؛ وأنّ جميع ما يستقبلهم من أنواع السعادة والشقاوة والخير والشرّ من حين أخذوا في السير عن موطنهم الأصلي الى أن يعودوا اليه ويحلّوا محلّهم من آثار الطينة التي منها خُلقوا، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

وهذا الذي تفيده هذه الروايات مستفادة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعوُدُونَ فَريقاً هَدٰى وَ فَريقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ﴾[1]؛ فأخبر سبحانه أنّهم كما يعودون فريقين فقد بدأوا فريقين.

ثم قال سبحانه: ﴿كَلاّٰ اِنَّ كِتٰابَ الفُجّٰارِ لَفِي سِجّينٍ * وَ مٰا أَدْراكَ مٰا سِجّينٌ * كِتٰابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْـمُكَذّبينَ﴾ الى أن قال: ﴿كَلاّٰ اِنَّ كِتٰابَ الْاَبْرٰارِ لَفِي عِلّيينَ * وَ مٰا أَدْراكَ مٰا عِلّـيُّونَ * كـتٰابٌ مَـرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْـمُقَرَّبُونَ * اِنَّ الْاَبْرٰارَ لَفِي نَعيمٍ﴾[2] الى آخر الآيات.

وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ اُمَّةٍ تُدْعىٰ اِلىٰ كِتٰابِهٰا﴾[3]،الآية.

وقد بيّنا في «رسالة الوسائط» أنّ كتاب كلّ موجود انّما هو سلسلة من أُمور وجودية، هي ذاته وتبعات ذاته وآثاره ولواحقه وأذنابه، وأنّه بنحو الاستنساخ من أصل ثم أصل، حتى ينتهي الى الأصل الواحد، وهو أُمّ الكتاب.

وإذا تأملت في هذه الآيات وجدت أنّ «علّيين» و«سجّين» كتابان كلّيان فيهما كتاب الأبرار والفجار، وأنّهما هي الجنّة والنار، ومن هنا طينتنا البرّ والفاجر.

(١) الاعراف: ٢٩ و ٣٠.
(٢) المطففين: ٧ ـ ٢٢.
(٣) الجاثية: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كانَ يُريدُ الْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ جَميعاً اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ وَ مَكْرُ اوُلٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1]. فأخبر بأنّ أعمال السعداء يصعد اليه ويرفعه، وأعمال الأشقياء تهلك وتبور.

ثمّ قال سبحانه: ﴿وَ اللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ اَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ اُنْثىٰ وَ لا تَضَعُ اِلاّ بِعِلْمِهِ وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ اِلاّ في كِتابٍ اِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ﴾[2]،الآية؛ فأخبر بأنّ خلقهم وأطواره ومقاديرها محفوظ عنده مكتوب قبل وجودهم وبرئهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَ ما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هٰذا مِلْحٌ اُجاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَى الْفُلْكَ فيهِ مَواخِرَ﴾[3]،الآية.

فبيَّن سبحانه سبب اختلاف مجاري أفعال السعداء والأشقياء، فأفعال أحد الفريقين يصعد اليه سبحانه وأفعال الآخر تهلك؛ مع أنّهم جميعاً مخلوقون من تراب ثم من نطفة وهم أزواج، بأنّ الاشتراك في بعض الجهات العارضة والفوائد المترتّبة لايوجب الاستواء بعدما كانت الذوات مختلفة الأُصول، فبعضها من البحر العذب، وبعضها من البحر المالح. ويستشمّ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الَّذي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ اُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وحِجْراً

---

(١) فاطر: ١٠. (٢) فاطر: ١١.

(٣) فاطر: ١٢.

مَحْجُوراً * وَ هُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الْمٰاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَكٰانَ رَبُّكَ قَديراً﴾[١]، الآيتان.

وقال تعالى: ﴿وَ الَّذينَ كَفَرُوا اِلىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُون * لِيَميزَ اللّهُ الْخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَميعاً فَيَجْعَلَهُ في جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ﴾[٢]، الآيتان.

فأخبر سبحانه بأنّ المشتركات من الأفعال التي يوجد في جميع الموارد، كما ذكره فيما سبق من الآيات، ستميز وتجمع كل الى ما يشاكله ويلحق بأصله بعد ما خُلطت ومزجت في هذه الدنيا. وقد قال تعالى: ﴿اَلْخَبيثٰاتُ لِلْخَبيثينَ وَ الْخَبيثُونَ لِلْخَبيثٰاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبٰاتُ﴾[٣].

ثم قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لله الَّذي صَدَقَنٰا وَعْدَهُ وَ اَوْرَثَنَا الْاَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشٰاءُ﴾[٤] الآية؛ وقال سبحانه: ﴿وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً في جَنّٰاتِ عَدْنٍ﴾[٥] الآية؛ فأخبر بأنّه يورثهم أرضاً ومساكن طيّبة هي الجنّة.

وقال سبحانه: ﴿وَ هُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّىٰ اِذٰا اَقَلَّتْ سَحٰاباً ثِقٰالاً سُقْنٰاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَاَنْزَلْنٰا بِهِ الْمٰاءَ فَاَخْرَجْنٰا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِاِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذي خَبُثَ لاٰ يَخْرُجُ اِلاّٰ نَكِداً كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ

(١) الفرقان: ٥٣ و ٥٤.
(٢) الانفال: ٣٦ و ٣٧.
(٣) النور: ٢٦.
(٤) الزمر: ٧٤.
(٥) التوبة: ٧٢.

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[١]،الآيتان.

فأخبر بأنّ التفاوت العظيم الذي بين ثمرات السعادة والشقاوة في خلال تصريفاتهم الى الإحياء والمحشر يرجع الى تفاوت الأراضي التي منها تكوّنوا وعليها اَحيوا وعاشوا وارتزقوا؛ فمن أرض طيّبة يطلع منها كلّ الثمرات بماء رحمته سبحانه، ومن أرض خبيثة سبخة لايخرج إلاّ نكداً عديم النفع؛ فارجع الأمر الى الطينة بالآخرة. وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[٢] وقال:﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٤] فتأمّل فيما قدّمناه، وتدبّر في جهات الكلام وخصوصيات القول.

واعلم أنّ كلامه سبحانه واحد، وما يبدلّ القول لديه، وهو يقول الحقّ، ويهدي السبيل. فعلى هذا الأصل الواحد ندور ونجري، والحمد لله.

وفي **العلل** مسنداً عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام ومعي رجل من أصحابنا، فقلت: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي لأغتمّ وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ ذلك الحزن والفرح يصل اليكم منّا، لأنا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم، ولأنّا وإيّاكم من نور الله عزّ وجلّ، فجعلنا وطينتنا واحدة، ولو تركت طينتكم كما أُخذت لكنّا وأنتم سواء، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً.

---

(١) الاعراف: ٥٧ و٥٨.
(٢) الصافات: ١١.
(٣) ص: ٧١.
(٤) طه: ٥٥.

قال: قلت: جعلت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدأ؟

فقال: أي والله يا عبدالله! أخبرني عن هذا الشعاع الزاخر من القرص إذا طلع، أهو متصل به أو بائن عنه؟

فقلت: جعلت فداك بل هو بائن منه.

فقال: أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد اليه، فاتصل به كما بدأ منه؟

فقلت له: نعم.

فقال: كذلك والله شيعتنا من نور الله خُلقوا، وإليه يعودون؛ والله إنّكم لملحقون بنا يوم القيامة»[١]، الخبر.

وفي أمالي الشيخ مسنداً عن عبيد بن يحيى عن يحيى بن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، وعن جعفر بن محمد، عن أبيهما، عن جدّهما، قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:«إنّ في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله عزّ وجلّ منها، وخلق منها شيعتنا. فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا؛ وهي الميثاق الذي أخذ الله عزّ وجلّ عليه ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام».

قال عبيد: فذكرت لمحمّد بن علي بن الحسين بن علي هذا الحديث، فقال: صدقك يحيى بن عبدالله، هكذا أخبرني أبي عن جدّي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[٢].

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ب ٨٤ ص ٩٣ ح ٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ج ٢ ص ٢٦٩ ح ٦ مع اختلاف في السند.

وفي **العلل** عن زيد الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع، من نور سنخ ذلك النور في طينة من أعلى علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنّها خُلقت ممّا خُلقنا منه. ثم قرأ: ﴿كَلاّ اِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفي عِلِّيينَ * وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وأنّ الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجّين، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم، فقلوبهم تهوى اليهم. ثم قرأ: ﴿كَلاّ اِنّ كِتابَ الْفُجّارِ لَفي سِجّينٍ * وَ ما اَدْراكَ ما سِجّينٌ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ﴾[1].

وفي **العلل** مسنداً عن حبة العرني، عن علي عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض، فمنه السباخ، ومنه الملح، ومنه الطيب؛ فكذلك في ذرّيته الصالح والطالح»[2]، الخبر.

أقول: وهذا المضمون وأمثاله يمكن أن ينزل على الارتباط الذي بين تركيب الأبدان وأمزجتها وبين الأخلاق والأفعال، كما يؤيّده ما في **النهج** من كلامه عليه السلام، وقد ذكر عنده اختلاف الناس، فقال عليه السلام: «انّما فرّق بينهم مبادىء طينهم، وذلك أنّهم كانوا فِلقة من سبخ أرضٍ وعذبها وحزن تربةٍ وسهلها، فهم على حسب قرب أرضهم

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ب ٩٦ ص ١١٧ ح ١٤.

(٢) علل الشرائع: ج ١ ب ٧٧ ص ٨٣ ح ٣.

يتقاربون، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون، فتامّ الرُواء ناقص العقل، ومادّ القامة قصير الهمّة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السبر، ومعروف الضريبة منكر الجليبة، وتائه العقل متفرّق اللب، وطليق اللسان حديد الجَنان»[(١)]، الخطبة.

وفي المحاسن عن علي بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وقال: كن ماءً ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي؛ ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر، ويلد الكافر مؤمناً؛ ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فإذا هم كالذرّ يدبّون. فقال لأصحاب اليمين: الى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب النار: الى النار ولا أُبالي»[(٢)]،الخبر.

فهذه أُنموذجة من أخبار الطينة، وهي تشتمل على خمسة أنواع من البيان حسب ما أوردناه، كلّ واحد من هذه الأصناف مستفيض، والكلّ واحد، كما عرفت.

ومنها: أخبار الذرّ والميثاق: وهي على كثرتها تبيّن أنّ الله سبحانه أخذ الميثاق بعدما عرضه على السعيد والشقي معاً، فأخذ إقرارهم على ربوبيته وحقيقة الحقّ وبطلان الباطل، كما تومىء اليه آيات من القرآن قال تعالى: ﴿وَ اِذْ اَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ اَشْهَدَهُمْ عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ شَهِدْنٰا اَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ اِنّٰا كُنّٰا

(١) نهج البلاغة: صبحي الصالح، الكلام ٢٣٤ ص ٣٥٤ وفيه:«وتائه القلب».

(٢) المحاسن: ص ٢٨٢ ح ٤١٢، بحار الانوار: ج ٥ ص ٢٥٢.

عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ * اَوْ تَقُولُوٓا اِنَّمٰا اَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ اَفَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١]،الآيات.

بَيَّن سبحانه أنّه أخذ ذرّية بني آدم من ظهورهم، وأخذ منهم الإقرار على ربوبيته، ومن المعلوم أنّ أباهم آدم غير معفو عن هذا الأمر، فهو معهم، فهو في الحقيقة إشهاد له ولذرّيته جميعاً، فيكون قوله:﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾المراد به آدم وما يخرج من ظهره وما يخرج من ظهر كلّ من ذرّيته الخارجة من ظهره تغليباً، ولذلك أطلق فيما يفسّره من الأخبار أنّ الله أخرج من ظهر آدم ذرّيته الى يوم القيامة، ونكتة التغليب الإشارة الى اعتبار وساطة الناس بعضهم في توليد بعض وعدم تأثير هذه الاختلافات في تمام الحجّة عليهم وإقرارهم، إذ قالوا بلى شهدنا، فيكون كالتوطئة لقوله تعالى بعد:﴿اَوْ تَقُولُوٓا اِنَّمٰا اَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية؛ فافهم.

ثمّ إنّ هذا الأخذ والإشهاد لو كان موطنه هذه النشأة الدنيوية كان قوله:﴿قٰالُوا بَلىٰ شَهِدْنٰا﴾حكاية عن لسان الحال، ويكون المراد من أخذهم إيجادهم بالتوليد والتناسل، وإشهادهم على أنفسهم ﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ إراءتهم أنفسهم بما يشتمل على الآيات الأنفسية التي تدلّ على وجود الحقّ ووحدانيته، فيترتّب عليه اعترافهم بلسان الحال بتوحيده سبحانه، فيكون جملة المراد: إنّ الله سبحانه خلق بني آدم في هذه الدنيا، ونشرهم فيها وأشهدهم على أنفسهم بإراءة آياتها واحتياجاتها الى ربّ مدبّر، فاعترفت بهذه الآيات ودلالتها قلوبهم، وقالوا بلسان حالهم بلى

(١) الاعراف: ١٧٢ و ١٧٣.

شهدنا؛ إلاّ انّ سياق هذه الآيات يعطي أنّ هذا الأخذ العمومي والإشهاد إنّما كان قطعاً لحجّتين يمكن أن يحتجّوا بهما يوم القيامة إذ رأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب، وهما إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو انّا وان لم نغفل لكن الذنب إنّما هو من آبائنا من قبل، ونحن إذ كنا ذرّيتهم تبعناهم في شركهم، أفتهلكنا بفعلٍ فعله هؤلاء المبطلون.

ويؤول المراد الى أنّ هذا الأخذ والإشهاد إنّما هو ليرتفع الغفلة نفسها، أو يبطل أثرها، وليبطل أثر التبعية بالولادة وان لم يغفل التابع.

ومن الواضح أنّ الغاية الثانية لاتترتّب على هذا الأخذ والإشهاد، فارتفاع الغفلة يقطع العذر كائناً ما كان، ولا قاطع غيره؛ فإضافة غاية أُخرى الى الأُولى كائنةً ما كانت توجب رداءة الكلام وسماجته، وحاشا كلامه سبحانه.

ولو جعل قوله تعالى:﴿اَنْ تَقُولوُا .. الى آخره﴾ غاية لقوله تعالى:﴿وَ اَشْهَدَهُمْ﴾ وقوله: ﴿اَوْ تَقُولوُا.. الى آخره﴾ غاية لقوله: ﴿وَ اِذْ اَخَذَ.. الى آخره﴾ يصير الكلام أردى وأسمج، إذ يصير المعنى: إنّ ربّك أخذ ذرّية بني آدم من ظهورهم، وفكك بين الجميع، لئلاّ يقع بعضهم تحت تبعية بعض، لعدم انفصالهم عنهم فيقولوا يوم القيامة أنّ الفاعلين للشرك إنّما هم آباؤنا فلماذا تعذّبنا، هذا، إذ لا آباء ولا ذرّية بعد فرض عدم الانفصال.

فهذا الموطن لايجوز أن يكون هو موطن الحياة الدنيا، بل الآية الشريفة ﴿اَوْ تَقُولُوا اِنَّمَا اَشْرَكَ آبَاؤُنا﴾، الآية، تفيد أنّ هناك كان موطناً لولا تفكيك الذرّية من آبائهم لاثرت التبعية المحضة، ولم يكن فعل الشرك إلاّ فعلاً واحداً صادراً من آبائهم دون الذرّية، حتى كانت الذرّية

تقول يوم القيامة: إنّا كنّا متّصلين بآبائنا وموجودين بتبعيتهم، والشرك كان من فعلهم، فماذا تستوجب عذابنا بعد إذ فصلتنا منهم وميّزت وجودنا من وجودهم؟

فأخبر سبحانه أنّه فرّق بينهم إذ ذاك لينقطع حجّتهم، ويكون قوله تعالى: ﴿اَنْ تَقوُلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلينَ﴾[1]، الآية، احتجاجاً بالغفلة عن الإشهاد الذي في هذا الموطن، فلابدّ حينئذٍ: أن يكون حكمه بحيث لايقبل التغيّر، أي راجعاً الى الذات ونحو الوجود، حتى تجري على وتيرته وحسب اقتضائه الحياة الدنيوية التي أُوجبت شقاوتهم فيها، فتكون هذه الغفلة غفلة ذاتية لهم عن ربوبيته سبحانه وشهادتهم شهادة ذاتية وإبصاراً وجودياً، وإشهادهم على أنفسهم إشهاداً وكشفاً ذاتياً عن حقيقة أنفسهم، وهي ليست إلاّ باطلة الذات في نفسها وقائمة الذات بالحقّ، ولهذا أردف سبحانه قوله:﴿وَ اَشْهَدَهُمْ عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ﴾بقوله: ﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فوضع سبحانه كلمة الربّ، وهو المالك المدبّر، ولم يقل: «قال ألست بربّكم» لأنّ الكلامين ـ أعني قوله: ﴿وَ اَشْهَدَهُمْ عَلىٰ اَنْفُسِهِمْ﴾ وقوله: ﴿اَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾بمعنى واحد بالمعنى الذي ذكر، فعاد معنى الآيات ـ والله العالم ـ الى أنّ هناك موطناً غير موطن الدنيا، فرّق فيها بين أشخاص الإنسان، وكثرهم بعد جمعهم ووحدتهم، وعرّفهم وأراهم نفسه بتعريفهم وإراءتهم أنفسهم، فشهدوه واعترفوا بربوبيته، ولولا ذلك لشملتهم الغفلة في هذه الدنيا، ولم يوحّدوه في هذه الدنيا، فافهم.

لأنّ من أسلم ووحّد في ذلك الموطن لاسبيل له الى الشرك، ومن أشرك هناك لم يجد بدّاً إلاّ أن يشرك في هذه الدنيا، كما يشير اليه سبحانه

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

بقوله تعالى[١]: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٢]،الآية؛ وما بعد هذه الآيات: ﴿وَإِذْ اَخَذَ .. الى آخره﴾ الى ستة آيات في سياق ما مرّ من المعنى، وسادستها قوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ اَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لاٰ يَسْمَعُونَ بِهَا اُولٰئِكَ كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ اُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٣]،الآية.

وفي آخر الآية عطف الى أول الآيات وتحديد للغفلة بأنّها انّما يكون وتتحقّق في تفقّهات القلوب ومبصرات العيون ومسموعات الآذان، وأمّا شهادة النفس لنفسها ولربّها فلا يحتجب بحجاب.

ثم إنّ في الآيات ﴿وَإِذْ اَخَذَ.. الى آخره﴾ اشارة ـكما علمت ـالى أنّ هذا الموطن وإن أوجب منهم شهادة بالربوبية لكنّها لم يخل مع ذلك عن موحّد ومشرك، فقد انشعب عن هناك توحيد وشرك؛ وفي تعبيره عن المشركين بالمبطلين في آخر الآيات إشارة الى وجه انشعابهما، فالإبطال مع شهادة نفوسهم هو الموجب لشركهم مع توحيدهم[٤]، ولذلك لعلّه

---

(١) وذلك أنّ هذا التركيب لايفيد مجرّد النفي، بل يفيد معنى الانتظار والترقّب في قولنا«نصحت لفلان ينتهي عن الملاهي وما كان ليقبل نصيحتي وقد اعتاد بها»؛ فما تمحّله صاحب الكشّاف من أنّ المعنى«فما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بما كذبوا به من قبل» على أنّه يوجب تجوّزاً آخر في قوله «كذبوا» في غير محلّه.(منه رحمه الله)

(٢) الاعراف: ١٠١، يونس: ٧٤. (٣) الاعراف: ١٧٩.

(٤) ويستفاد هذا المعنى من قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَاَبَيْنَ اَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ اَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْاِنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً» الآية، ذكر سبحانه أنّ الانسان حمل أمانة لم يتحمّلها السماوات وغيرها، وذلك أنّه كان ظلوماً جهولاً؛ ثم ذكر غاية هذا العرض والحمل بقوله سبحانه:«لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ

سبحانه عبّر عن هذين الأمرين بالطوع والكره في قوله سبحانه: ﴿وَ لَهُ اَسْلَمَ مَنْ في السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ اِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١] الآية، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوىٰ اِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْاَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً اَوْ كَرْهاً قالَتا آتَيْنا طائِعينَ * فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماوَاتٍ﴾[٢] الآية.

وهذا الأخذ والإشهاد هو الذي يعبّر عنه سبحانه بالميثاق في قوله: ﴿وَ اِذْ اَخَذْنا مِنَ النَّبِيّينَ ميثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ اِبْرٰهيمَ وَ مُوسىٰ وَ عيسىٰ بْنِ مَرْيَمَ وَ اَخَذْنا مِنْهُمْ ميثاقاً غَليظاً * لِيَسْأَلَ الصّادِقينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾[٣] الآية. فذيل الآية يفيد أنّ أخذ الميثاق[٤] ليطلب الصدق

وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحيماً» الآية، قسّم تعالى الانسان في غاية هذا العرض الى قسمين: المنافق والمؤمن، إشعاراً بأنّ لا كافر هناك، لعموم الحمل، فلا ردّ، وهو الميثاق. وقوله: «وَ يَتُوبَ اللهُ .. الى آخره»، دليل على أنّ السعادة من الله والتوبة منه؛ وقوله:«وَ كانَ اللهُ.. الى آخره» في مقام تعليل العرض وانّ المقتضي له صفة الغفران والرحمة، وأمّا صفة التعذيب والانتقام ونحوهما فبعرض المغفرة والرحمة الخاصّة، إذ ظهور النجاة في العالم يستدعي وجود هالكين ومستحقّين فيهم النجاة، كما لا يخفى. وإذا تدبّرت في هذه الآية وجدتها من آيات الشفاعة، والله الهادي.

(١) آل عمران: ٨٣. (٢) فصّلت: ١١ و ١٢.

(٣) الاحزاب: ٧ و ٨.

(٤) ولو كان المراد بهذه الغاية «يسأل.. الى آخره» هو السؤال يوم القيامة لكان المراد بالسؤال المحاسبة والحساب، لكن المفهوم من هذا النظم والتركيب هو الطلب دون المحاسبة، كما في نظائره، يقال: «سألت الغني عن غناه» و«سألت الجواد عن جوده» و«سألت الفقيه عن فقهه والشاعر عن شعره» ونظائر ذلك؛ والمفهوم في كلّ ذلك هو الطلب دون الحساب، نعم لو كان النظم مثل قولنا: «يسأل الصادقين عن صدقهم فيما

←

عن الصادقين، فموطنه الدنيا دون الآخرة، فموطن الميثاق قبل الدنيا، فافهم. والآيات التي يستفاد منها هذا المعنى كثيرة، وقد فسّرتها بذلك روايات مستفيضة كثيرة أو فوق حدّ الاستفاضة.

في **تفسير القمي** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله ﴿ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾الآية، قلت: معاينة كان هذا؟

قال: نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه؛ ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه ورازقه؛ فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبلُ﴾[1] الحديث.

أقول: ومضمون هذه الرواية مروية في كتاب **المحاسن**[2] **والعلل**[3] **والتوحيد**[4] **وتفسير القمي**[5] **وتفسير العياشي**[6] وغيرها بطرق وأسانيد كثيرة جدّاً.

وفي **العلل** مسنداً عن حبيب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله

صرفوا» مثل «سألت الغني عن غناه فيما أنفق» أفاد معنى الحساب؛ والوجه أنّ فرض الصدق في المسؤول يجعل السؤال لغواً ركيكاً؛ ويوضّح لك ذلك أن ترجع الى التفاسير وتشاهد تمحّلات المفسرين في تفسير هذه الآية(منه رحمه الله).

(١) تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٤٨ في تفسير آية ١٠١ من سورة الأعراف.

(٢) المحاسن: كتاب مصابيح الظلم ص ٢٤١ ح ٢٢٥.

(٣) علل الشرائع: باب ٩٧ علة المعرفة والجمود ص ١١٧ ح ١.

(٤) التوحيد: باب فطرة الله عزوجل الخلق على التوحيد ص ٣٣٠ ح ٩.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٤٧ سورة الاعراف.

(٦) تفسير العياشي: سورة الاعراف ج ٢ ص ٣٩ ح ١٠٨

تعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميعاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[١].

وفي **تفسير العياشي** مسنداً عن عبدالله الجعفي، وفي **العلل** مسنداً عن عبدالله الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة؛ وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكان ممّا أبغض أن خلقه من طينة النار؛ ثمّ بعثهم في الظلال.

قلت: وأيّ شيء الظلال؟

فقال: ألم تر الى ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء؟ ثمّ بعث منهم النبيين فدعوهم الى الإقرار بالله، وهو قوله عزّوجلّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾؛ ثمّ دعوهم الى الإقرار بالنبيّين، فأنكر بعض وأقرّ بعض؛ ثمّ دعوهم الى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض؛ وهو قوله تعالى: ﴿فما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[٢] الخبر.

وهو أيضاً مستفيض المعنى، والأُصول السابقة تكفي في تفسيره، فلا نعيد.

تنبيه

حيث إنّ بين الحسنات بعضها مع بعض ترتّباً وسببية يتفرّع بذلك بعضها على بعض، وكذلك بين السيّئات؛ والنوعان من الأعمال كلاهما

---

(١) علل الشرائع: ج ١ ب ٧٩ ص ٨٤ ح ١.

(٢) تفسير العياشي: سورة يونس ج ٢ ص ١٢٩ ح ٣٧.

ينتهيان الى الذوات السعيدة والشقية بنفسها، تعيّن هناك طريقان من الاستدلال على الجزاء والثواب والعقاب؛ والطريقان معاً مستعملان في كلامه سبحانه كقوله تعالى: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل﴾[1] الآية، وقوله تعالى: ﴿ذلكم بأنّكم اتّخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحياة الدّنيا﴾[2] الآية، كما أنّ الطريقين بعينهما مستعملان في كلام العقلاء في تعليل الأفعال حسنها وقبيحها.

فصل ٧

[نفي الجبر والتفويض والجمع بين الاختيار والتقدير]

قد عرفت أنّ النظام نظامان: نظام ثابت غير متغيّر الأجزاء، ونظام متبدّل متغيّر الأجزاء؛ وأنّ وجود أحد النظامين لايبطل وجود الآخر ولا يزاحمه؛ فارتفع توهّم أنّ سبق القضاء والقدر ووجوب تحقّق ما كتبه الله في اللوح المحفوظ المصون عن التغيّر والانمحاء ووجوب انتهاء كلّ موجود الى ما يقتضيه سعادته أو شقاوته الذاتيتان ينافي صحّة التكليف وترتّب الثواب والعقاب عليه؛ إذ التكليف الحقيقي يحتاج الى اختيار حقيقي يصحّ معه الفعل والترك جميعاً، ومع وجوب وجود الحوادث التي يبتدىء منه سبحانه وينتهي الى الفعل ومنها الفعل ـ وهي سلسلة متصلة واحدة مترتّبة الأجزاء واجب وجود جميعها ـ لايبقى للاختيار أثر بصحّة ترتّب الفعل أو الترك عليه وإمكانهما بالنسبة الى الفاعل، لوجوب وجود

---

(١) الاعراف: ١٠١، يونس: ٧٤. (٢) الجاثية: ٣٥.

أحد الجانبين بالضرورة، فلابدّ من اختيار أحد الأمرين ونفي الآخر.

أحدهما: بطلان القدر، وهو تأثير سابق للحقّ في الأفعال، وانّما يسبق الفعل منه سبحانه علم غير مؤثّر فيها، فالأفعال مخلوقة للعباد، وإن كانت الأسباب والقوى التي تولّدها مخلوقة له سبحانه؛ وهو المصطلح عليه بالتفويض وعليه جماعة المعتزلة.

وثانيهما: الالتزام بالقدر والقول ببطلان تأثير الاختيار ولغوية التكليف الحقيقي، ومن لوازمه تصحيح التكليف بما لا يطاق والجبر في الأفعال ونفي الحسن والقبح العقليين ونفي الأغراض والغايات وأمثال ذلك؛ وهذا هو المصطلح عليه بالجبر، وعليه المجبّرة، هذا. وقد عرفت أن لا منافاة بين المرحلتين، وأنّ القدر لايزاحم الاختيار، فلكلٍّ وعاء.

وهؤلاء لم يستطيعوا أن يجمعوا بين المعارف الإلهية الحقيقية وبين ما تقتضيه الأسباب الطبيعية المادية، مع أنّ مصحّح التكليف عند العقلاء من البشر هو وجود الاختيار والقدرة الفاعلية التي لاريب فيه عندهم، للفرق الضروري بين حركة الصحيح وحركة المرتعش، وبين سكون الصحيح الأعضاء وسكون الفالج؛ ومع ذلك لاريب عندهم أنّ جميع الأسباب المتوقّفة عليها وجود الفعل إذا تمّت كان الفعل ضروريّ الوقوع.

وقد تبيّن فيما مرّ أنّ النظام نظامان: نظام ثابت ذو أجزاء ثابتة لا يتطرّق اليها التغيّر بوجه ما، ونظام مادّي متقوّم بالإمكان والقوّة والاستعداد متغيّر متبدّل غير ثابت، والانسان من جملة أجزائه، ونسبته الى أفعاله بصحّة الفعل والترك، وهو الاختيار، يختارها بالحسن والقبح والغايات والأغراض، ويحتاج أفعاله في تحققّها الى ذلك، وهو ظاهر. كما أنّ المراد

باستعدادها يمكن أن تصير الى هذه الغاية أو الى تلك الغاية، وانّما يتعيّن فيها ولها إحدى الغايتين بواسطة اكتناف نوع الاستعدادات الملائمة لتلك الغاية وإبطالها استعدادات الغاية الأُخرىٰ، وربما تمّ أحد الجانبين فزاحمه جانب آخر بتضادّه، وأبطله بقوّته؛ ولافرق بين الإنسان وبينها إلاّ بالعلم؛ فاختيار الانسان لأحد الجانبين بعد تمام سائر الأسباب بالعلم، وتعيّن أحد الجانبين فيها بغيره من المقتضيات المعيّنة. والعلم من حيث هو ذو هذا الأثر أحد تلك المقتضيات. وأيّ فرق بين مبدأ الإحراق الذي في النار وبين مبدأ الفعل الذي في الانسان وهو الإرادة التامّة؟ وأيّ فرق بين الحطب الذي يحرق بعد إشتعاله بالنار مثلاً، وبين الانسان الذي يضحك بالإرادة؟ ومع ذلك لايبطل نسبة الإنسان الى الفعل والترك بإمكانهما له وصحّتهما، وهو الملاك في صحّة التكليف وترتّب الجزاء بالثواب والعقاب، وهذا في غاية الوضوح؛ ولهذا لم نطلب في هذا الباب أكثر من هذا المقدار.

واعلم أنّ هناك نظراً آخر يرتفع به موضوع هذه الأبحاث و المشاجرات، وهو نظر التوحيد الذي مرّ في هذه الرسائل؛ فالأفعال كلّها له كما أنّ الأسماء والذوات له سبحانه، فلا فعل يملكه فاعل غيره سبحانه حتى يتحقّق موضوع لجبر أو تفويض، فافهم.

فصل ٨

[الشواهد الروائية]

والنقل أيضاً يدلّ على ما مرّ، فقد روي عنهم عليهم السلام: «لاجبر

ولا تفويض بل أمر بين أمرين» وهذا اللفظ وارد عنهم على حدّ الاستفاضة بطرق كثيرة[(١)].

وفي التوحيد مسنداً عن يونس، عن غير واحد، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قالا: «إنّ الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذّبهم عليها؛ والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون.

قال: فسُئلا عليهما السلام: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟

قالا: نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض»[(٢)].

وفي التوحيد مسنداً عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[(٣)].

ومثله ما ورد عنهم عليهم السلام: «مساكين القدرية أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه»[(٤)].

وفي الطرائف: أنّ رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر، فقال: «ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو فعل العبد، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله، يقول الله للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لِم زنيت؟ فهذا فعل العبد. ولا يقول له: لم مرضت؟ لم قصرت؟ لم ابيضضت؟ لم اسوددت؟ لأنّه

---

(١) راجع اصول الكافي: ج ١ ب ٥٣ ص ١٦٠، التوحيد: ب ٢٩ ص ٢٠٦.

(٢) التوحيد: ب ٥٩ ص ٣٦٠ ح ٣.

(٣) التوحيد: ب ٥٩ ص ٣٦٠ ح ٤.

(٤) الطرائف: حكايات من المجبرة واحتجاجات عليهم ص ٣٣٠.

من فعل الله تعالى»[١].

وفي الطرائف أيضاً: روي أنّ الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون، فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟

فقال: الله أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذّبهم.

قال: فمطلقون؟

قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله الى نفسه[٢]،الخبر.

والأخبار في هذا الباب متواترة في المعنى، وهي على كثرتها ترجع الى نوع البيانات التي أوردنا هذه الانموذجات منها، وأنت تشاهد منها أنّهم عليهم السلام أوردوا فيها طريقين من البيان والاستدلال:

أحدهما: الاستدلال باقتضاء الأسماء الإلهية وصفاته كالرحم والعزّة والكرامة والعدل والقهر وكذلك بالقضاء والقدر.

وثانيهما: الاستدلال بما يقتضيه العقل وسيرة العقلاء من الحسن والقبح وغير ذلك. وفي بعض الأخبار سكتوا عن البيان.

ففي التوحيد مسنداً عن مهزم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أُخبرني عمّا اختلف فيه من خلفت من موالينا.

قال: فقلت: في الجبر والتفويض.

قال: فاسألني؟

قلت: أجَبَرَ الله العباد على المعاصي؟

قال: الله أقهر لهم من ذلك.

---

(١) الطرائف: حكايات من المجبرة واحتجاجات عليهم ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق.

قال: قلت: ففوّض إليهم؟

قال: الله أقدر عليهم من ذلك.

قلت: فأيّ شيء هذا أصلحك الله؟

قال: فقلب يده مرّتين أو ثلاثاً، ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت»[١]، الخبر. وذلك منه عليه السلام إرفاقاً بحال الراوي، والله المعين.

فصل ٩
[كيفية انتزاع الأفعال الأُخر]

وأمّا سائر الأفعال التي نسبها الحقّ سبحانه الى نفسه، من المشيّة والإرادة والهداية والإضلال والتمحيص والاستدراج والغضب والأسف ونحو ذلك، فقد اتّضح من تضاعيف ما مرّ سنخ الكلام فيها وفي تفسيرها. فهذه أفعال منتزعة من أنحاء وجودات الموجودات التي هي أفعاله و إفاضاته سبحانه؛ فالموجود الصادر منه سبحانه حيث إنّه غير صادر بالاضطرار والجهل والغفلة تعالى عن ذلك يُنتزع منه أنّ هناك مشيّة وإرادة له سبحانه، وهو مشيء وجوده ومراد خلقه.

والأُمور التي يتفرّع عليها اهتداء جمع الى صراط السعادة يُنتزع منها هدايته سبحانه، أو ضلال آخرين عن الصراط يُنتزع منها الإضلال، لكن بمعنى لايوجب عليه سبحانه النقص؛ ووجود الأمر بعد الأمر بحيث يلائم اللاحق السابق ويُكمل السابق باللاحق ينتزع منه التوفيق؛ أو

(١) التوحيد: ب ٥٩ ص ٣٦٣ ح ١١.

بخلافه بحيث يعقم اللاحق أثراً يتوقّع من السابق ينتزع منه الخذلان؛ وإيجاد الشيء أو إبقائه بحيث يلائم السعادة وينتجها يُنتزع منه البركة.

والأُمور التي يوجب تميّز الشقي عن السعيد والخبيث عن الطيب يُنتزع منها التمحيص والامتحان ونحوهما، لكن لابمعنى يوجب عليه سبحانه الجهل، بل بمعنى اتمام الحجّة وإعلام الحكمة؛ والأُمور التي يوجب تشدّد شقاوة الشقي وتكاملها من أنحاء النعمة بعد المعصية ينتزع منها الاستدراج والكيد ونحوهما؛ والبلايا التي تستتبعها المعاصي يُنتزع منها الغضب؛ والإصرار على الذنب والطغيان يُنتزع عن موردها الأسف؛ وفي كل ذلك إنّما يعتبر المعنى خالياً عن جهات النقص. وقد ذكرنا في رسالة «الأسماء الحسنى» أنّ لأفعاله سبحانه انسلاكاً ما في سلك صفاته الذاتية بنظر آخر برهاني غير هذا النظر.

فصل ١٠

[الدلائل النقلية من الكتاب والسنّة]

وأمّا الآيات والأخبار الواردة في هذه المعاني فهي أكثر من أن تُحصىٰ.

أمّا المشيّة فهناك آيات كثيرة في أنّ مشيّته سبحانه هي الغالبة على مشيّة غيره، بل أنّ مشيّتهم فرع مشيّته:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[١].

وفي التوحيد مسنداً عن أبي سعيد القمّاط قال: قال أبو عبدالله

---

(١) الانسان: ٣٠.

عليه السلام: خلق الله المشيّة قبل الأشياء، ثم خلق الأشياء بالمشيّة[١].

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي أُذينة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خلق الله المشيّة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة[٢].

وفيه أيضاً مسنداً عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المشيّة محدثة[٣].

أقول: والروايات في حدوث المشيّة وأنّها من صفات الفعل كثيرة.

وأمّا الإرادة فكثير الورود في القرآن، وظاهر آياته كونه من صفات الفعل. قال: ﴿وَ اِذٰا اَرَدْنٰا اَنْ نُهْلِكَ... الى آخره﴾[٤] وقال: ﴿اِنَّمٰا اَمْرُهُ اِذٰا اَرٰادَ شَيْئاً... الآية﴾[٥]. وأمثال ذلك من الآيات.

وروى الصدوق في التوحيد و العيون مسنداً عن صفوان قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق.

فقال: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لاغير ذلك، لأنّه لا يروي، ولا يهمّ، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لاغير ذلك، يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولانطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف كما أنّه بلا كيف[٦]، الحديث.

---

(١) التوحيد: ب ٥٥ ص ٣٣٩ ح ٨.
(٢) التوحيد: ب ١١ ص ١٤٧ ح ١٨.
(٣) التوحيد: ب ١١ ص ١٤٨ ح ١٩.
(٤) الاسراء: ١٦.
(٥) يس: ٨٢.
(٦) التوحيد: ب ١١ ص ١٤٧ ح ١٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: باب ١١ في الفرق بين ارادة من الله و من الخلق ج ١ ص ١١٩ ح ١١.

أقول: والأخبار في كون الإرادة من صفات الفعل مستفيضة أو متواترة.

وأمّا الكلام والكلمة فهي المعنى التام من حيث يدلّ عليه باللفظ أو غيره من أسباب الأفهام كما عرفت، ولذلك ورد في القرآن بوجوه مختلفة، قال تعالى: ﴿وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تَكْليماً﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَ تُكَلِّمُنا اَيْديهِمْ وَ تَشهَدُ اَرْجُلُهُمْ﴾[٢]، الآية.

وقال تعالى: ﴿وَ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذينَ كَفَرُوا اَنَّهُمْ اَصْحٰابُ النّارِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَ كَلِمَتُهُ اَلْقاهٰا اِلىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْه﴾[٤] الى غير ذلك من الآيات.

وجملة الأمر أنّ الوجود المفاض من الحقّ سبحانه حيث يُنبىء عن خصوصيات صفات الحقّ المتوسّطة في إفاضته أو عن الغاية التي أرادها الحقّ سبحانه من إيجاده، فهو دالّ على المقصود وما في الضمير، فهو كلمة دالّة أو كلام وحديث وقول ونحو ذلك، وهو ظاهر. فكلمة الله وكلامه هو الفعل والايجاد لاغير، وهو الوجود.

وفي أمالي الشيخ مسنداً عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: لم يزل الله جلّ اسمه عالماً بذاته ولا معلوم، ولم يزل قادراً بذاته ولا مقدور.

قلت له: جعلت فداك، فلم يزل متكلّماً؟ قال: الكلام محدث، كان الله

---

(١) النساء: ١٦٤.
(٢) يس: ٦٥.
(٣) غافر: ٦.
(٤) النساء: ١٧١.

وليس بمتكلّم. ثم أحدث الكلام[١]؛ الحديث. وقد روي هذا المعنى في روايات أُخر أيضاً.

وبالجملة فالأحاديث على كثرتها مصرّة في كون الإرادة والكلام من أسماء الأفعال، ونفي كونهما من أسماء الذات؛ وهذه الأحاديث وان كانت لاتنفي إمكان تصحيح معنى للإرادة والكلام يوجب رجوعهما الى الصفات الذاتية، كما اهتمّ به صدر المتألهين قدّس سره وأقام البرهان على أنّ ما تصوّره من معنى حقيقة الإرادة والكلام من صفات الذات.

لكن الانصاف أنّ ما أقامه من البرهان في مورد هاتين الصفتين الفعليتين جارٍ في بقية الصفات الفعلية، فلا وجه لتخصيص الكلام بالإرادة والكلام بخصوصهما.

وقد مرّ في الفصول السابقة أنّ الصفات الفعلية يمكن أن تلاحظ بلحاظ يوجب حلولها محلّ الصفات الذاتية بوجه.

وأمّا الرضا والغضب ونحو ذلك، ففي **التوحيد** و **الأمالي** مسنداً عن محمّد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد فقلت له: يابن رسول الله أخبرني عن الله، هل له رضاً وسخط؟

فقال: نعم، وليس ذلك على حدّ ما يوجد في المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه[٢]، الخبر. ومعناه مروي مستفيضاً.

وأمّا الهداية والإضلال ففي **المحاسن** عن عبدالله بن هشام، عن سليمان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا سليمان إنّ لك قلباً ومسامع، وإنّ الله

---

(١) الأمالي: ب ٦ ص ١٧٠ ح ٣٤.

(٢) التوحيد: ب ٢٦ ص ١٧٠ ح ٤، الامالي: ب ٤٧ ص ٢٣٠ ح ٦.

إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قـلبه، وإذا أراد بـه غـير ذلك خـتم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿اَمْ عَـلىٰ قُـلُوبٍ أَقْفالُها﴾[١].

وأمّا الاخلاء والاستدراج ففي **الكافي** مسنداً عن سماعة قال:«سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾ قال عليه السلام: هو العبد يذنب الذنب فيجدّد له النعمة معه تلهيه تلك النـعمة عـن الاسـتغفار مـن ذلك الذنب»[٢]،الخـبر. وهـو مستفيض.

والأحاديث في صفات الفعل كثيرة جداً، اقتصرنا على هـذا المـقدار منها إيثاراً للاختصار وجرياً على نحو الفصول السابقة.

تتمة

روي في **التوحيد** و **المعاني** عن الصـادق عـليه السـلام في قـول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمّا آسَفُونَا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾قال: إنّ الله عـزَّ وجـلَّ لايـأسف كأسفنا، ولكنّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويـرضون، وهـم مخـلوقون مدبَّرون؛ فجعل رضاهم لنفسه رضاً، وسخطهم لنفسه سخطاً، وذلك لأنّه جعلهم الدعاة اليه والأدلّاء عليه، ولذلك صاروا كذلك. وليس أنّ ذلك يصل الى الله عزّ وجلّ كما يصل الى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال مـن ذلك.

وقال أيضاً: من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها.

---

(١) المحاسن: ص ٢٠٠ ح ٣٥، بحار الانوار: ج ٥ ص ٢٠٣.

(٢) اصول الكافي: ج ٢ ب ٢٠٢ ص ٤٥٢ ح ٣.

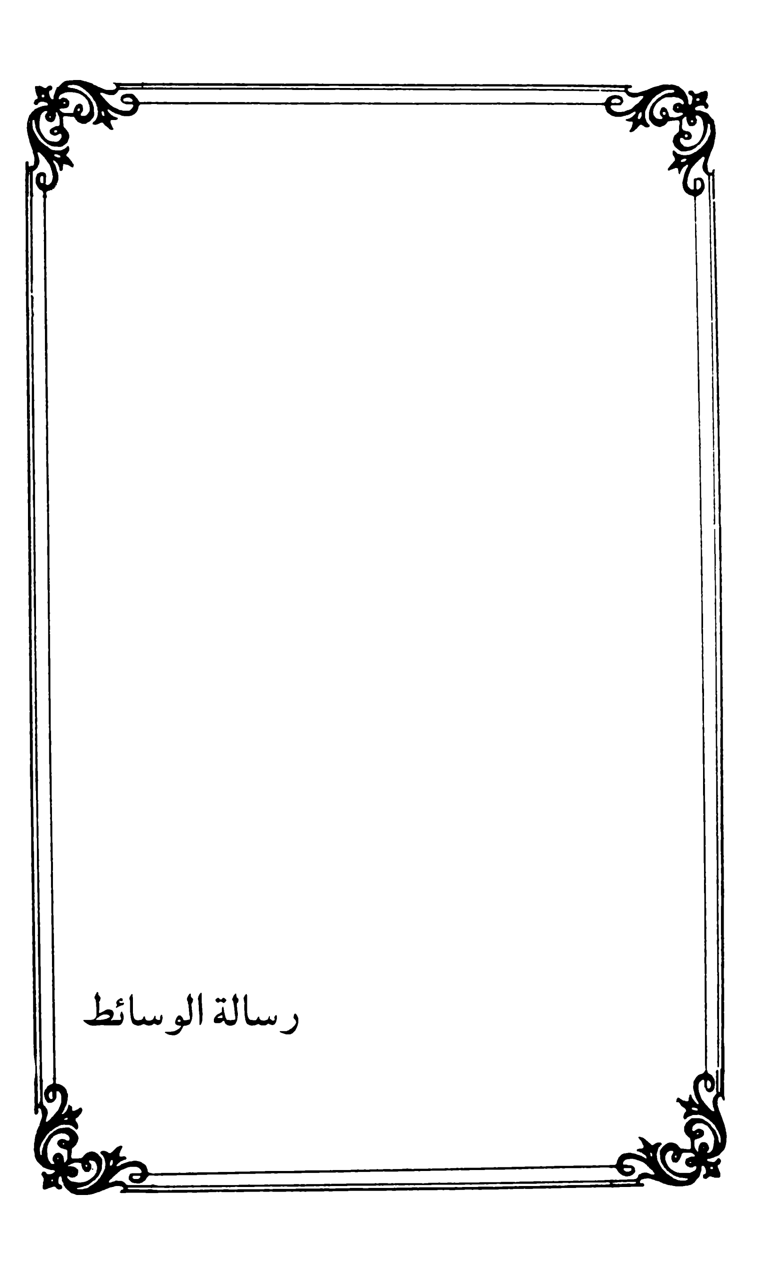
وقال أيضاً: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اَطَاعَ اللهَ.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ﴾ وكلّ هذا وشبهه على ما ذكرت لك. وهكذا الرضا والغضب وغير هذا من الأشياء ممّا يشاكل ذلك[1]، الخبر.

وهو من جوامع الأخبار يفيد ضابطاً كلّياً في نوع آخر من أفعال الله سبحانه، وهو أنّ كلّ فعل من كلّ فاعل إذا لم يلاحظ فاعله، لفناء فعله في فعله سبحانه كأفعال الأنبياء والأولياء المخلصين، وكذا إذا فنى عن بصر الإنسان فاعل فعل ولم يبق لفعله إلاّ الله سبحانه كما في قضية موسى عليه السلام مع شجرة الطور. وبالجملة كلّ فعل لا فاعل له فهو فعل الله سبحانه. وهذا هو الذي يستنتج من الأُصول السابقة في أوّل الرسالة وينحلّ به كثير من أُمهات الإشكالات وفروعها، والله الهادي.

تمّ الكلام، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد
وآله الطاهرين، في العشر الأخير من شهر محرّم
سنة ١٣٦١ هجرية قمرية، وتمّت الكتابة
في قرية شادآباد من أعمال تبريز.

(١) التوحيد: ٢١ باب معنى رضاه عزّوجلّ وسخطه ص ١٦٨ ح ٢.



رسالة الوسائط

رسالة الوسائط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقرّبين، سيّما محمّد وآله الطاهرين.

هذا ملخّص الكلام في الوسائط الموجودة بين الله سبحانه وبين نشأة الطبيعة التي أوجدها الله سبحانه واحدةً بعد واحدةٍ، على ما يتحصّل بالبرهان، ويؤيّده الكشف، ويفهم من ظواهر التعاليم الدينية من الكتاب والسنّة؛ والله المعين.

فصل ١
[العوالم الكلّية الأربع]

قد ثبت في «رسالة التوحيد» أنَّ الموجودات الخارجيّة الإمكانية جميعاً معاليلُ ومظاهرُ للوجود الواجبي الذي هو حقيقةٌ صرفةٌ؛ فهي

جميعاً قائمةٌ به؛ فهي موجودة في مرتبة صرافته، بنحوٍ أعلى وأشرف، من غير شائبةٍ من النقائص والأعدام. وإذ كانت الحقيقة صرفةً، فهذه الوجودات أسماءٌ لها، متميّزةٌ مفهوماً، واحدةٌ مصداقاً؛ وهذه هي الأسماء والصفات. وثبت أنَّ الأسماء والصفات مبادٍ في ثبوت الموجودات، على جهاتها المختلفة وحيثياتها المتشتتة.

هذا بالنسبة الى نسبة الأسماء مع ما دونها؛ وفي مرتبتها أيضاً ترتّب ما على نسب المفاهيم؛ إذ من الضروري أنّ الخَلْق مثلاً فرع القدرة، والقدرة فرع العلمِ والحياة، وهكذا. ومن حيث إنّ الوجود الصرف الغير المحدود من جميع الجهات يرتفع عنه الصفات في حدّ نفسه وجوداً وعدماً، على ما تبيّن في «رسالة التوحيد»، والاتصاف تعيُّن ما، فهذا المعنى أسبق بالنسبة الى سائر التعيّنات.

فتحقَّق به أنَّ أقدم التعيّنات ـ أعني الأسماء ـ هو التعيّن بعدم التعيّن؛ وهو «مقام الأحَديّة» باصطلاح العرفاء؛ ويليه بقية التعيّنات.

وتحقَّق أيضاً أن لا فرقَ في ذلك بين الأسماء الذاتية والأسماء الفعلية التي تُنتزع عن مقام الفعل؛ وان كان بين القسمين فرق في أنّ الاسم الذاتي موجود في مقام الذات قولاً مطلقاً، والاسم الفعلي موجود على نحو وجود ما انتُزِع عنه؛ فليُفهم.

ثمّ نقول: اِنّ كلَّ موجود من الجواهر الطبيعية طبيعةٌ ذات أفعالٍ جزئيةٍ مستندةٍ الى صورتها النوعية، وانفعالاتٍ جزئية مستندةٍ الى مادّتها، على ما بُرهن عليه في الأُمور العامّة؛ كالانسان الفرد الموجود خارجاً مثلاً ذا أفعالٍ انسانية وانفعالات مادّيةٍ بدنيّةٍ.

فمن الضروري أنّ الانسان، وهو المطلق لا بقيد الاطلاق، موجود في الإنسان الفرد؛ وهو طبيعة إذا لوحظت في نفسها كانت كلّيةً مرسلةً، تصدق على كلّ إنسان فرد مفروض، نسبتُها الى جميع الأفعال والانفعالات الإنسانية على السواء.

ومن الضروريّ أيضاً أنّ الإنسان ذا الأفعال الانسانية موجودٌ في الإنسان الفرد؛ وهو طبيعة إذا لوحظت كذلك، لم تعرضها الكلّيةُ بل الجزئية؛ لكنّها خالية عن المادّة وانفعالاتها، غير أنَّ معها الأفعال الموجودة في الإنسان الفرد المادّي.

فإذا فرضنا موجوداً جوهرياً مادياً طبيعياً، تحقَّق هناك جهات ثلاث: الوجود الجوهريّ مجرّداً عن التقيّد بالمادّة والأحكام التي عند المادّة، والوجود الجوهريّ مجرّداً عن المادّة دون الأحكام التي عند المادّة، والوجود الجوهريّ المادّيّ. وهذه الثلاث هي التي تسمّيها الحكماء بالوجود المجرَّد، والوجود المثاليّ، والوجود المادّيّ.

ثمَّ إنَّ من الضروري أنّ في مرتبة الوجود المثاليّ من الإنسان مثلاً جواز الاتصاف بالأفعال الصادرة عنه في مرتبة الوجود المادّيّ؛ وإلاّ إمتنع الاتصاف بها هناك؛ فلتلك المرتبة نسبة ما مع تلك الأفعال. وحيث إنّ المأخوذ هو الوجود ووجود النسبة، والنسبة غير مستقلّة بذاتها لاتتحقّق إلاّ بتحقّق الطرفين، فلتلك الأفعال وجود ما في مرتبة الوجود المثاليّ، كالعكس. وحيث إنّ لمرتبة الوجود المثالي تقدّماً في نفسه على مرتبة الأفعال بالضرورة، فبينهما تقدّماً وتأخّراً بالوجود؛ فبين الوجود المثاليّ ومرتبة الأفعال ترتُّباً بحسب المرتبة، وعلّية ومعلوليةً، وظاهريةً

ومظهريةً؛ فهما مرتبتان من مراتب ظهور الوجود.

وبمثل البيان يظهر أنّ مثل هذه النسبة بعينها موجودة بين الوجود المجرَّد والوجود المثالي.

هذا كلّه في الأُمور الموجودة في مرتبة الطبيعة، المختصّة بكلّ نوع؛ ومثل الكلام يجري في الأُمور الموجودة في أزيد من نوع، أو في جميع الأنواع والموجودات الطبيعية، فظهر أنّ فوق مرتبة الطبيعة مرتبتين أُخريين: مرتبة التجرّد ومرتبة المثال.

فظهر من جميع ما مرَّ أنّ في الوجود أربعة عوالم كلّية مترتبة بحسب قوّة الوجود، كلٌّ على طبق الآخر:

الأوّل: عالم الأسماء والصفات، ويسمّى «عالم اللاهوت».

الثاني: عالم التجرّد التامّ، ويسمّى «عالم العقل، والروح، والجبروت».

الثالث: عالم المثال، ويسمّى «بعالم الخيال، والمثل المعلَّقة، والبرزخ، والملكوت».

الرابع: عالم الطبيعة، ويسمّى «عالم الناسوت» وغير ذلك.

هذا وقد أُقيم في العلم الإلهي براهين كثيرة على ما مرَّ، عموماً وخصوصاً؛ وفيما أقمناه من البرهان كفاية للمتأمّل، إن شاء الله.

فصل ٢

[النصوص الدالّة على وساطة الأسماء والصفات بينه تعالى وبين الموجودات]

أمّا ما سمعت من كون الأسماء الإلهية وسائط في تنزّل الوجود فمن

الثابت في الكتاب والسنّة. فإنّك إذا تأمّلت وتدبّرت الكتاب الالهي، وجدت أنّ الله سبحانه في آيات التوحيد يعلّل أسماءه الخاصّة بأسمائه العامّة؛ كما في سور الرعد، والحديد، والحشر، وغيرها، وآية السخرة:﴿أنَّ رَبَّكُمُ الله﴾[1]، وآية الكرسي[2]، وآيات في القرآن كثيرة؛ ووجدت أنّه سبحانه عند بيان الخَلق، والقيمومة، وسائر أنحاء الإفاضة جميعاً، وكذا في مرحلة العود كالموت والبرزخ والحشر وغير ذلك، يعلّل ذلك كلّه بأسماء مناسبة في المفهوم؛ ولعلّك تظفر بذلك في أزيد من خمسمائة آية، حتّى أنّ ذلك موجود في مرحلة الاعتبار، كالتكليف.

وإذا تأمّلت في روابط الأسماء وما دونها اهتديت بخصوصيات الأسماء على كثير من شؤون التنزّلات، وكذا العكس. فتظفر بعلوم لاتقدر قدرها، إن كُنتَ ممّن آتاك الله كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ جَعَلَ لَكَ نُوراً تَمْشي بِهِ.

وهذا ـ أعني علم الأسماء ـ من مختصّات هذا الكتاب الإلهي؛ ولم نظفر فيما ينقل إلينا من الكتب السماوية على شيء من ذلك.

وكذلك السنّة، فإنّ الأدعية المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السلام، على كثرتها، مملوة بالأسماء والصفات؛ وقليل من الأدعية المفصَّلة لايوجد فيه: «اللّهمَّ إنّي أسألك باسمك الذي فعلت به كذا»، و«أسألك بمجدك الذّي فعلت به كذا»، و«بنور وجهك الذي أَضاء له كلّ شيء»، و«بأسمائك الّتي ملأت أركان كلّ شيء» وأمثال ذلك.

وكذلك الأسئلة بالأسماء المناسبة، كالرّزاق في طلب الرّزق، والغفور

---

(١) الاعراف: ٥٤.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

في طلب المغفرة، ونحو ذلك.

بل هذا المعنى كالمفطورِ للانسان؛ فلستَ ترى إنساناً يسأل الشفاء، فيدعو فيقول: «يا مميتُ يا منتقمُ! اشفِ هذا المريض»، بل انّما يقول:«يارحمنُ يا رحيم يا رؤوف يا شافي يا معافي»، وما يناسب ذلك. وإذا تتبّعت مواردها متأمّلاً، وجدتَ أنَّ هذا المعنى على بهائه وسنائه من ضروريات هذا الدّين المقدَّس، غير أنّ الاشتغال عمّا يعني بما لا يعني، ربّما صرَّف الناس عن التحقّق به والغور في مزاياه.

ومن جوامع الأخبار في ذلك ما في الكافي و التوحيد، مسنداً عن إبراهيم بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: إنَّ الله تباركَ وتعالىٰ خلق اسماً بالحروف غيرُ متصوَّت[1]، وباللَّفظِ غيرُ مُنطَقٍ، وبالشّخص غيرُ مجسَّدٍ، وبالتّشبيه غيرُ موصوفٍ، وباللّون غيرُ مصبوغٍ، منفيٌّ عنه الأقطار، مبعَّدٌ عنه الحدود، محجوبٌ عنه حسُّ كلّ متوهّمٍ، مستترٌ غيرُ مستور. فجعله كلمةً تامةً على أربعة أجزاء معاً، ليس منها واحدٌ قبلَ الآخر. فأظهر منها ثلاثة أشياء، لفاقة الخلق اليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه[2] الاسماء الثلاثة التي أظهرت؛ فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان[3]. وسخَّر لكلّ اسم من هذه أربعة

---

(١) هكذا في الكافي، وفي التوحيد:«خلق اسماً بالحروف، وهو عزّ وجلّ بالحروف غير منعوت».

(٢) هكذا في التوحيد؛ وفي ا لكافي: «فهذه الأسماء...».

(٣) هكذا في البحار وبعض نسخ التوحيد؛ وفي الكافي وبعض نسخ التوحيد الاخرى:«فالظاهر هو الله تبارك وتعالى...».

أركان؛ فذلك اثنا عشر ركناً. ثمَّ خلق لكلِّ ركن منها ثلاثين اسماً، فعلاً منسوباً اليها. فهو الرَّحمن، الرَّحيم، الملِك، القدُّوس، الخالق، البارىء، المصوّر، الحيّ، القيّوم، لاتأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السَّميع، البصير، العزيز، الجبّار، المتكبِّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السَّلام، المؤمن، المهيمن [البارىء] المنشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرّازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى، حتّى تتمّ ثلاثمائة وستّين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله عزَّ وجلَّ:[1] ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيّاً مّا تَدْعُوا فَلَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ﴾[2].

وهذا الخبر الشريف صريح في أنّ المراد بالاسم المخلوق غير اللفظ، وانّه مجرَّد، لا جسمانيٌّ ولامثاليٌّ.

ويظهر منه أنّ المراد بالاسم الواحد المخزون هو «مقام الأحديّة»؛ إذ هو المحجوب بهذه الأسماء الثلاثة التي هي «الله، وتبارك، وسبحان»؛ وهي الهويَّة والجمال والجلال؛ إذ الخلق محتاجون في تحقّق أعيانهم ولوازمها الى هذه الجهات الثلاث، من الهوية وصفات الثبوت وصفات السلب. وأمّا إذا لوحظ الخلق بالنسبة الى «مقام الأحديّة»، ففيه ارتفاع موضوعهم، كما لايخفى.

ثمَّ انظر الى قوله عليه السلام: «ثمَّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً،

---

(١) الاسراء: ١١٠.

(٢) الكافي: ج ١ ب ٣٨ ص ١١٢ ح ١، التوحيد: ب ٢٩ ص ١٩٠ ح ٣.

فعلاً منسوباً اليها»، أي الى الأسماء، حيث ذكر أنّ الخلق لله، وللفعل نسبة اليها، وهذه هي الوساطة والظهور.

وقال في آخر الخبر: «فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة... الى آخره» وهذه هو الترتب والوساطة بين الأسماء أنفسها.

وقوله عليه السلام: «فأظهر منها ثلاثة أشياء لفاقة الخلق اليها»، إشارة الى وساطة الأسماء بالنسبة الى ما دونها.

ومن ذلك ما في التوحيد مسنداً عن عبدالملك بن عنترة الشيباني قال: جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! أخبرني عن القدر.

فقال: بحرٌ عميقٌ فلا تَلِجْهُ.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن القدر.

فقال: طريقٌ مظلمٌ فلا تسلكْهُ.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن القدر.

ففال: سرّ الله فلا تتكلّفه.

فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن القدر.

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟

قال: فقال له الرّجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا، فسلّموا على أخيكم؛ فقد أسلم وقد كان كافراً.

قال: وانطلق الرَّجل غير بعيد، ثمّ انصرف اليه، فقال له: يا أميرالمؤمنين! أبالمشيَّة الأُولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنّك لبعدُ في المشيّة. أمَا إنّي سائلك عن ثلاث، لايجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟

فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟

فقال: لما شاء.

قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟

قال: يأتونه كما شاء.

قال: قم فليس اليك من المشيّة شيء[1]، الخبر.

فقد أثبت صلوات الله عليه القدر، وهو تأثير ما للحقّ سبحانه في نظام الموجودات، بسبق الرّحمة على الأعمال، أي تقدّم الصفة على النظام. فلخصوصيات الصفات اقتضاءات في خصوصيات النظام؛ ولولا ذلك لكانت الصفات متأخّرة عن الموجودات وباقتضائها، فيكون الموجود الخارجي سابقاً على الصفة الإلهية.

ثمّ أكّد عليه السلام هذا المعنى وشيّده في آخر الخبر بأنّ المشيَّة الإلهية غالبة على كلّ حال، وغايته حاصلة على أيّ تقدير، وأنّ الإرادة لاتتخلّف عن المراد، والمغيّىٰ واقع على طبق الغاية لا محالة.

وهذا ـ أعني عدم التخلّف ـ إنّما هو في الروابط العامّة الإلهية؛ وأمّا

---

(١) التوحيد: ب ٦٠ ص ٣٦٥ ح ٣.

الخاصّة، كالرحمة الخاصّة والرزق الخاصّ ونحو ذلك، فربّما تتخلّف إذا نُسبت الى كلّ الموجودات، فافهم.

والى هذا يمكن أن يشير ما في علل الشرائع مسنداً عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله الله ﴿وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْانْسَ الاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. قال: خلقهم للعبادة.

قلت: خاصّةً أم عامّةً؟

قال: لا بل عامّةً[2]، الخبر.

واعلم أنّ آخر الخبر الشريف من شواهد ما مرَّ في آخر الفصل السابق. إنّ صفات الفعل متقدّمة على الموجودات، لها وجود ما في مرتبة الأسماء الذاتية، وإلاّ لم يكن الاتصاف بالحقيقة، على ما لا يخفى.

هذا إجمال ما يدلّ على وساطة الأسماء والصفات بينه تعالى وبين الموجودات، والأخبار فيه كثيرة.

[دلالة القرآن على وجود عالمي المثال والتجرّد التامّ]

و أمّا ما يدلّ على وجود العالَمين المتوسطين ـ أعني عالَم التجرّد التام وعالَم المثال ـ فأشياء كثيرة من الكتاب والسنّة، غير أنّ مورد كثير منها العود ـ أعني أخبار البرزخ وما بعده ـ وهي من شواهد ما قصدنا إثباته باعتبار تطابق المبدأ والمعاد.

وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلاّ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) علل الشرائع: ب ٩ ص ١٤ ح ١٢.

نُنَزِّلُهُ اِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١] الآية تدلّ بعمومها على أنّ لجميع موجودات عالمنا هذا وجودات مخزونة عنده تعالى ذات سعة، غير محدودة ولامقدَّرة. إذ ظاهرها أنّ التقدير انّما يحدث مع التنزيل وليس التنزيل بالتجافي وتخلية المحلّ بالنزول، لقوله تعالى: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللهِ باقٍ﴾[٢]الآية. وهذه الآية إذا ضمّت الى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ اِلاّ وَجْهَهُ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْاِكْرامِ﴾[٤]الآيات، أفادت أنّ ما عند الله وجه له سبحانه. ثمّ قوله تعالى: ﴿وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾[٥]الآية، تفيد أنّ لله سبحانه في كلّ شيء وجهاً.

وبعبارة أُخرى: انّ في كلّ شيء وجهاً إلهياً ووجهاً كونياً خلقياً؛ وهذا الوجه حيث إنّه بمقدار فهو محدود مثالي. وقد أفاد قوله تعالى:﴿وَ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلاّ عِنْدَنا﴾[٦] الآية وجهاً آخر غير محدود ولا مقدّر.

فتبيّن أنّ لعالمنا هذا وجهاً إلهياً مقداريّاً باقياً قبله، وهو عالم المثال؛ ووجهاً إلهياً مجرّداً عن المقادير باقياً، وهو عالم العقل والتجرّد.

وأنّ العوالم الثلاث متطابقة غير متفاوتة إلاّ بالشّرف والخسّة. قال تعالى:﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَ اِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ﴾[٨]الآية.

---

(١) الحجر: ٢١.
(٢) النحل: ٩٦.
(٣) القصص: ٨٨.
(٤) الرحمن: ٢٦ و ٢٧.
(٥) الرعد: ٨.
(٦) الحجر: ٢١.
(٧) الاعراف: ٢٩.
(٨) العنكبوت: ٦٤.

وتبيّن أيضاً أنّ الخلقة بنحو التنزّل، من غير تجافٍ. ويؤيّد هذه المعاني آيات كثيرة في القرآن الكريم.

[دلالة الروايات على وجود عالمي المثال والتجرّد التام]

وممّا يدل على ذلك جملة أخبار الطينة، وأخبار السعادة والشقاوة، وأخبار الذرّ والميثاق، وأخبار جنّة آدم عليه السلام.

[سبق خلق المعصومين عليهم السلام على غيرهم]

في **البحار** نقلاً عن كتاب **تأويل الآيات الظاهرة** مسنداً عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ، واحدٌ، تفرَّد في وحدانيته؛ ثمَّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً؛ ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً، وخلقني وذرّيتي؛ ثمَّ تكلّم بكلمة، فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا. فنحن روحُ الله وكلمتُهُ، وبنا احتجب عن خلقه. فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لاشمس، ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار، ولا عين تطرف؛ نعبده ونقدّسه ونمجّده ونسبّحه قبل أن يخلق الخلق[١]، الخبر.

وهذا المعنى، وهو سبق خلقهم عليهم السلام على كلّ خلق سابق ولاحق، مستفيض أو متواتر في الأخبار، ولا يتمّ معناها إلاّ مع التجرّد التام. ويؤيّدها ويؤكّدها أخبار أُخر في الطينة وخلق

(١) بحار الانوار: ج ٢٦ ص ٢٩١ ح ٥١.

الأرواح قبل الأجساد.

[بعض الناس من طينة الجنة وبعضهم من طينة النار]

ومنها ما في العلل و تفسير العياشي مسنداً عن عبدالله الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق الخلق، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ؛ وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة. وخلق من أبغض ممّا أبغض؛ وكان ممّا أبغض أن خلقه من طينة النار. ثمّ بعثهم في الظلال.

قلت: وأيّ شيء الظلال؟

فقال: ألم تر الى ظلّك في الشمس شيءٌ وليس بشيءٍ. ثم بعث منهم النبيين؛ فدعوهم الى الإقرار بالله؛ وهو قوله عزَّ وجلَّ:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1]. ثمَّ دعوهم الى الإقرار بالنبيين؛ فأنكر بعض، وأقرّ بعض. ثمّ دعوهم الى ولايتنا؛ فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض؛ وهو قوله[2]:﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[3]، الحديث.

[عالم الذرّ]

ومما في تفسير القمّي مسنداً عن ابن مسكان عن أبي عبدالله

---

(١) الزخرف: ٨٧. (٢) يونس: ٧٤.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ب ٩٧ ص ١١٨ ح ٣، تفسير العيّاشي: سورة يونس ج ٢ ص ١٢٩ ح ٣٧.

عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ﴾[1].

قلت: معاينةً كان هذا؟

قال: نعم؛ فثبتت المعرفة، ونسوا الموقف، وسيذكرونه. ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه ورازقه. فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فقال الله[2]: ﴿فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[3].

ونحوه في تفسير العيّاشي عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ـ الى ـ أَنْفُسِهِمْ﴾[4] قال: أخرج الله من ظهر آدم ذرّيّته الى يوم القيامة، فخرجوا كالذّر. فعرَّفهم نفسه، وأراهم نفسه. ولولا ذلك ما عرف أحد ربّه؛ وهو قوله[5]: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ﴾[6]، الحديث.

وهذا المعنى مرويّ في المحاسن وكتب الصدوق وغيرها. ومن الضروري بعد تسلّم الاخبار، أنّ هذا الموقف لم يكن في نشأة العلم الربوبي، بل بعد ثبوت الخلق، وأنّه كان قبل نشأة الطبيعة، إذ نشأة كلّ واحد منّا الطبيعية مشاهدة بالعيان معلومة، وقد صرّح عزّ وجلّ في الآية بأنّ هذا البعث والأخذ متعلّق بظهور بني آدم لا آدم فقط؛ ويشهد لذلك تفسيره عليه السلام «الظلال» بما عرفت، مع إثباته المعاينة، ومن المعلوم أنّ المعاينة لاتتحقّق الاّ مع الانقطاع عمّا سواه، وهذا في

---

(١) الاعراف: ١٧٢.
(٢) الاعراف: ١٠١، يونس: ٧٤.
(٣) تفسير القمّي: ج ١ ص ٢٤٨.
(٤) الاعراف: ١٧٢.
(٥) لقمان: ٢٥.
(٦) تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١١١.

غير نشأة الطبيعة لبني آدم.

وكذا استشهاده عليه السلام في خبر زرارة بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلتهم مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ﴾ الآية، المُشعر برؤيتهم ملكوت السماوات والأرض، وكذا تفسير آية: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ الآية في رواية ابن مسكان.

هذا وأنت ترى أنّه أثبت في الروايات في هذا الموقف إقرار وإنكار، وخير ما وشرّ ما؛ وعالم التجرّد التامّ والنور البحت لا شرّ فيه في جانب النزول البتة؛ فهذا الموقف بعد عالم التجرّد، وقد ثبت أنّه قبل نشأة الطبيعة فتعيّن أنّه عالم المثال، فليتأمّل.

[جنّة آدم عليه السلام]

ومنها ما في تفسير القمّي في جنّة آدم: «أنّها كانت من جنان الدنيا التي تنتقل اليها أرواح المؤمنين بعد موتهم»[1]، الخبر، وما في أخبار أُخر: من تفسير الشجرة المنهى عنها آدم وأنّها كانت شجرة الولاية[2] وغير ذلك.

فصل ٣

[الحجب، القلم، اللوح، العرش، الكرسي و...]

هو كالخاتمة لما مرّ. قد ثبت في الكتاب والسنّة قبل نشأة الإنسان

---

(١) تفسير القمّي: سورة البقرة ج ١ ص ٤٣.

(٢) تفسير كنز الدقائق: سورة البقرة الآية ٣٥ ج ١ ص ٢٣٤.

والطبيعة أُمور أُخر، وهي الحجابات والقلم واللوح والعرش والكرسي والسماوات السبع والملائكة والشياطين. والمطلوب بعد ما مرّ، الكشف عن معانيها بحسب تفسير بعضها لبعض؛ فنقول:

[كلام في الحجب]

أمّا الكلام في الحجب والسرادقات، فاعلم أنّ الاخبار تكاثرت فيها؛ وفي القرآن الكريم أيضاً شيء كثير يستفاد منه ذلك. قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاٰ يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلاَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّماٰءِ﴾[١]؛ وقال تعالى: ﴿وَ مٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ فِيْ ٱلأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّماٰءِ﴾[٢] الآية؛ يفيد أنّ الموجودات معلومة عنده غير غائبة عنه سبحانه؛ فلا حجاب يحجب الحقّ عن معلوماته؛ فالخلق غير محتجب عنه سبحانه بشيء.

وأمّا حجابه تعالى ـ أي احتجابه عن خلقه ـ فقد قال تعالى: ﴿فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٣] وحياة كلّ أحد الدنيا وجوده الدنيوي بلواحقه؛ وغرورها بجعلها الإنسان مشغولاً بنفسها؛ وقد قال تعالى: ﴿وَ مٰا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيا اِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّٰارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوٰانُ﴾[٤]؛ وقال سبحانه: ﴿وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا اِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ﴾[٥] الآيات. واللعب هو الاشتغال بفعل لغاية خيالية، لا حقيقة له

---

(١) آل عمران: ٥.
(٢) يونس: ٦١.
(٣) لقمان: ٣٣.
(٤) العنكبوت: ٦٤.
(٥) آل عمران: ١٨٥.

في الخارج؛ واللهو ما يصرف عن غيره، ويشغل اللاهي بنفسه. فدلّ على أنّ الحياة الدنيوية، وهو الوجود الدنيوي، إنّما هو خيال يصرف الإنسان عن غيره؛ وهو الحقيقة التي هي الحياة الأُخروية. وقد بيّن ذلك وأُشير اليه في آيات كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّٰى اِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ اَيْديهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، الآية.

وأكثر المؤمنين وان كانوا يشاركون هؤلاء في المحجوبية عنه تعالى، الاّ أنّه تعالى وعدهم وعداً حسناً بكشف الحجاب بالستر على ذنوبهم؛ فقال تعالى: ﴿اِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَريمٍ * اِنّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتىٰ﴾[٤]، الآية. فهذا هو الحجاب عن الله سبحانه؛ وهو نفس وجود الانسان.

وقد عمّم حكم هذا الحجاب بالنسبة الى سائر الأشياء في قوله سبحانه: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ * يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ﴾[٥] الآية. فصدر الآية وان كان في الناس، حيث حكم بالبروز في هذا اليوم لله، وهم بارزون دائماً، وليس

---

(١) النور: ٣٩.
(٢) النور: ٤٠.
(٣) يس: ٩.
(٤) يس: ١١ و ١٢.
(٥) غافر: ١٥ و ١٦.

ذلك إلاّ بظهور الأمر لهم بارتفاع الوسائط بعد خفائه قبل هذا اليوم، كما حكى سبحانه ذلك عنهم بقوله: ﴿وَلَوْ تَرىٰ اِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا اَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إنّا مُوقِنُونَ﴾[١]، الآية، الاّ أنّ ذيل الآية: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ...﴾ تعميم لجميع الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢] وقوله: ﴿وَللهِ ما فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ اِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ اِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٤]، الآية.

وبالجملة، فحكم الحشر جار على جميع الموجودات؛ وعنده ارتفاع الحجاب، وانتباه الجميع عن نومة الغفلة بإثبات الملك لله وحده. وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ * أَلا اِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا اِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطٌ﴾[٥]. فأثبت الحجاب مع الحكم بعدمه. فقد تبيّن من جميع ذلك أنّ نفس وجود الخلق حجاب لهم عن الحقّ سبحانه؛ فلا حجاب بينه وبينهم إلاّ أنفسهم. وهذا هو المتحصّل عن الأخبار.

ففي الارشاد و الاحتجاج عن الشعبي، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في

---

(١) السجدة: ١٢.
(٢) النور: ٤٢.
(٣) لقمان: ٢٦.
(٤) الانعام: ٣٨.
(٥) فصّلت: ٥٣ و ٥٤.

كلام له: «إنَّ الله أجلّ من أن يحجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء»[(١)].

ومثله في خطبة له عليه السلام: «لا حجاب بينه وبين خلقه»[(٢)] الخطبة.

وهذا يدلّ على أنّه سبحانه مشهود لكلّ موجود، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[(٣)]، الآية.

وكما عن كتاب **إثبات الوصيّة** للمسعودي، عن علي عليه السلام في خطبة له: «فسبحانك ملأت كلّ شيء، وباينت كلّ شيء؛ فأنت لا يفقدك شيء»[(٤)]، الخطبة.

وكما في **التوحيد** مسنداً عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: سألت جعفر ابن محمد عليه السلام عن التوحيد؛ فقال: «واحد، صمد، أزليّ، صمديّ، لا ظلّ له يمسكه، وهو يمسك الأشياء باظلّتها، عارف بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل»[(٥)]، الحديث.

ويظهر من هنا أنّ هذا الشهود يجامع الجهل أيضاً، كمن يرى ولا يعرف.

ويدلّ عليه أيضاً ما في **العلل**، مسنداً عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: لأي علّة حجب الله عزّوجلّ الخلق عن نفسه؟ قال: «لأنّ الله عزّ وجلّ بناهم بِنْية على الجهل»[(٦)]، الحديث.

---

(١) الارشاد: ج ١ ب ٧١ ص ١٢٠ ح ٢. الاحتجاج: احتجاج امير المؤمنين عليه السلام في التوحيد ص ٢١٠. (٢) البحار: ج ٤ ص ٣٠٥ ح ٣٤.

(٣) فصّلت: ٥٣.

(٤) اثبات الوصيّة: خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٠٧.

(٥) التوحيد: ب ٢ ص ٥٧ ح ١٥.

(٦) علل الشرائع: ج ١ ب ٩٨ ص ١١٩ ح ٢.

وهذا يدلّ ـ زيادة على ما مرَّ ـ على أنّ هذا الجهل ذاتيٌّ، أي أنّ العلم ليس إلاّ له وبه سبحانه؛ فافهم. كما يشير اليه قوله سبحانه: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاّ بِمَا شَاءَ﴾[١].

وقريب مما مرَّ، الأخبار المستفيضة: كما في التوحيد، مسنداً عن يعقوب ابن جعفر الجعفري عن موسى بن جعفر عليه السلام: «ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه؛ احتجب بغير حجاب محجوب؛ واستتر بغير ستر مستور؛ لا إله إلاّ هو الكبير المتعال»[٢]، الحديث. ومثله عن النبيّ وعلي والرضا عليهم السلام.

ومن هنا يتبيّن أنّ الحاجب هو ذوات الأشياء بوجوداتها المستعارة، وأنّ الذوات حاجبة غير حاجبة، أي أنّ الشهود انما يتحقّق بالغفلة عن الذات.

ويظهر أيضاً أنّ كلّ حاجب للشيء عن الحقّ سبحانه فهو غير خارج عنه، بل داخل في ذاته، أي من مراتب وجوده.

وهذا هو الذي يدلّ عليه الخبر المشهور المرويّ عن طرق العامّة: «إنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور أو ظلمة، لو كشفت لاحترقت سبحات وجهه ما دونه أو ما انتهى اليه بصره»[٣]، الحديث. إذ الاحتراق والإحراق هاهنا ليس من جنس إحراق النار واحتراق الحطب بتبديل الحطب بجنس النار والترميد؛ وانما هو افناء الذات من حيث المشاهدة؛ كما في خطبة الأشباح لعلي عليه السلام بعد بيان تسبيح الملائكة قال

---

(١) البقرة: ٢٥٥. (٢) التوحيد: ب ٢٨ ص ١٧٩ ح ١٢.

(٣) بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٤٥ (فذلكة).

عليه السلام: «ووراء ذلك الرجيج الذي تستكُّ منه الأسماعُ سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها»[١]، الخطبة.

وحيث إنّ هذا الاحتراق متعلّق بذات الشيء، فباحتراق مرتبة من مراتب الذات تفنى الذات، ويبقى وجه ربّك ذي الجلال والإكرام.

وفي خبر المعراج المروي في **الكافي** و **تفسير العيّاشي**، فيما سأله النبيّ ليلة المعراج جبرئيل عن البحار التي شاهدها فوق السماء السابعة، فقال ـ يعني جبرئيل ـ: «هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها؛ ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كلّ شيء»[٢]،الخبر.

ويظهر من هنا، من حيث نسبة الهتك الى الأشياء، وهو انّما يتحقّق بالحجاب، مثل قوله: «ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه»، أنّ ذات كل شيء من جملة الحجب.

ويظهر أيضاً أنّ بعض الموجودات ربّما يحتجب عن بعض، كالعرش بالبحار؛ ويشهد له أيضاً ما في خطبته عليه السلام لذعلب: «حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه»[٣]، الخطبة، كما لا يخفى.

يظهر من خبر حدوث الأسماء المنقول سابقاً أنّ الاحتجاب موجود في مرحلة الأسماء والصفات أيضاً، وأنّ بعض الأسماء يحتجب ببعض.

وفي **التوحيد**، مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: «الشمس جزء

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٩١ ص ١٢٩.

(٢) لم نعثر عليه في الكافي وتفسير العيّاشي ووجدناه في تفسير القمّي: ج ٢ ص ٣.

(٣) التوحيد: ب ٤٣ ص ٣٠٩ ح ٢.

من سبعين جزءً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءً من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءً من نور الحجاب، ونور الحجاب[١] جزء من سبعين جزءً من نور الستر»[٢]، الحديث. وفي هذه الرواية إشارة ما الى التنزّلات أيضاً.

فظهر من جميع ما مرَّ أنّ ذات كلّ شيء حجاب بالنسبة الى نفسه، وكذا الموجودات بعضها بالنسبة الى بعض، إذاكان من مراتب الذات داخلة في الذات. فكلّ مرتبة من الوجود ـ أعني ظهوره ـ حجاب بالنسبة الى ما دونها؛ وكذا نفس المرتبة بالنسبة الى نفسها. فالحجابات هي التعيّنات الوجودية؛ فتتعدّد الحجابات في كلّ شيء بعدد المراتب التي يتقدّم بها ذاته، هذا.

واعلم أنّ الأخبار مختلفة اختلافاً فاحشاً في تعداد الحجب، وهذا هو الذي منعنا عن إيرادها واستقصاء ذكرها في هذه الرسالة، وان احتمل حملها على اختلاف اعتباراتها؛ كما هو كثير في موارد الروايات، ظاهر للمتتبع.

[كلام في العرش والكرسيّ]

وأمّا الكلام في العرش، فاعلم أنّ ثبوت العرش من ضروريات دين الإسلام، وقد تكرّر ذكره في القرآن المجيد، وتواترت الأخبار من طرق

---

(١) هكذا في الاصل، وفي التوحيد: «والعرش جزء من سبعين جزءً من نور الحجاب، والحجاب...».

(٢) التوحيد: ب ٨ ص ١٠٨ ح ٣.

العامّة والخاصّة فيه.

أقول: إذا رجعنا الى ما عند العقلاء، وجدنا أنّ عرش الملك معتبر عندهم لمعنى ما؛ وهو أنّ الملك عندهم حيث إنّه إنسان بيده أزمّة مملكته المدنية، وقد اعتبروا في لوازم الحياة حال صاحبها، والملك لاختصاصه بحفظ الأزمّة اعتبر لوازم حياة مختصّة به، ومنها مجلسه. فاختصّ به العرش وهو مستقرّه، ومحلّ صدور أحكامه وقضائه؛ وهذا هو حقيقة «العرش». و«الكرسي» أعمّ منه، يوجد لغير الملك، كما يوجد له، إلاّ أنّه مع ذلك مجلس فيه اختصاص ما.

ومن هنا تعرف أنّ مفهوم هذا اللفظ يعطي أنّه موجود نسبته الى الموجودات مطلقاً أو عالم الأجسام فقط، نسبة عرش الملك الى المدنية؛ ونسبته الى الحقّ سبحانه نسبة عرش الملك الى الملك؛ فهو مرتبة من الوجود هي مجلّى جميع صفات الحقّ سبحانه ممّا للموجودات اليه حاجة، كمستقرّ الملك. وهي محلّ صدور تفاصيل أحكام الموجودات، فهو ظاهر الوجود المنبسط الشامل للمجرّد والمثاليّ والمادّيّ.

والى هذا المعنى، وهو محلّية صدور الأحكام، يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ في سِتَّةِ اَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ﴾[1] الآية.

وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما في ستَّةِ اَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفيعٍ﴾[2]، الآية.

---

(١) يونس: ٣. (٢) السجدة: ٤.

والآيات في نسق هاتين الآيتين كثيرة. وأردف الاستواء على العرش بالتدبير[١] ونفي المولى والشفيع غيره تعالى، وهو كالتفسير له. فالعرش يرتبط به نظام الوجود، بما أنّه نظام بين الموجودات.

ويدلّ على ارتباط ذوات الموجودات أيضاً به وسبقه على هذا النظام قوله تعالى: ﴿وَ هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضَ في سِتَّةِ اَيّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾[٢]،الآية.

وفي حديث القمّي :«وكان عرشه [على الماء]؛ والماء على الهواء؛ والهواء لايحدّ؛ ولم يكن يومئذٍ خلق غيرهما؛ والماء عذب فرات»[٣]، الحديث.

ثمَّ من المعلوم أنّ الحاجة الى العرش في أمرين:

أحدهما: صدور الأحكام، وهو الذي تشتمل عليه الآيات السالفة.

و الثاني: العلم بما يصدر منها، وتشتمل عليه آيات أُخرى. قال تعالى:﴿خَلَقَ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضَ في سِتَّةِ اَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فيها وَ هُوَ مَعَكُمْ اَيْنَما كُنْتُمْ وَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾[٤]،الآية.

وحيث إنّ هذا النظام نازل من هناك ومعلوم حاضر هناك، فهو هناك ثابت باقٍ ووجه إلهي، كما مرَّ سالفاً. فهناك وجوه جميع الموجودات و

(١) التدبير هو الاتيان بالأمر دبر الأمر، وبالشيء عقيب الشيء. فتدبير الأمر منه سبحانه هو تفصيل امره وايجاده.(منه رحمه الله).

(٢) هود: ٧.

(٣) تفسير القمّي: ج ٢ ص ٦٩ ذيل «كانتا رتقاً ففتقناهما».

(٤) الحديد: ٤.

وجوداتها الشريفة تفصيلاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[١] الآية. وحينئذٍ يعود اليه معنى قوله تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[٢]، الآية بوجه، ويتّحد بوجه مع الكتاب المبين، وسيجيء كلام فيه.

والى تتميم هذه المعاني يشير قوله تعالى: ﴿الَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٣]، الآية، وقوله تعالى: ﴿وَ تَرَى الْمَلاٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[٤]، الآية، وقوله تعالى: ﴿وَ الْمَلَكُ عَلىٰ أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٥]، الآية[٦].

ويشير الى ما مرَّ ما في رواية حنان بن سدير من تفسير العرش العظيم بالملك العظيم[٧].

وفي التوحيد أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، فيما أجاب به علي عليه السلام الجاثليق، فقال علي عليه السلام: «إِنّ الملائكة تحمل العرش؛ وليس العرش، كما تظنّ، كهيئة السرير، ولكنَّه شيء محدود مخلوق مدبَّر، وربّك مالكه؛ لا أنّه عليه، ككون الشيء على الشيء»[٨]، الخبر.

وحيث إنّه شامل للموجودات ففيه تفاصيل وجوداتها، واليه يشير ما

---

(١) الحجر: ٢١.
(٢) الانعام: ٥٩.
(٣) غافر: ٧.
(٤) الزمر: ٧٥.
(٥) الحاقة: ١٧.
(٦) فانّ كلّ تفصيل لا يتمّ الاّ باجمال سابق عليه، فالحملة هم حفظة الاجمال؛ ومن حول العرش وعلى ارجاء السّماء ملائكة يحفظون تفاصيل الامر. (منه رحمه الله).
(٧) التوحيد: ب ٥٠ ص ٣٢١ ح ١.
(٨) التوحيد: ب ٤٨ ص ٣١٦ ح ٣.

في كتاب **روضة الواعظين** عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، قال: «في العرش تمثال ما خلق الله في البرّ والبحر. قال: وهذا تأويل قوله تعالى[١]: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢].

وما ورد في تفسير دعاء «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»[٣]، الدعاء.

وحيث إنّه منبسط على المجرّد والماديّ، فهو مجرّد، ففيه فعليّات جميع الموجودات السافلة، حاضرة عند الحقّ سبحانه، وللحقّ سبحانه بتمام وجوداتها؛ فهو من مراتب العلم، فهو العلم الفعلي بالوجودات الذي يحصل فيه الموجودات.

ومن هنا كان معظم الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يفسر العرش بالعلم؛ في **الكافي** مسنداً عن البرقي رفعه، قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عزَّ وجلَّ، يحمل العرش، أو العرش يحمله؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عزَّ وجلَّ حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ وَ لَئِنْ زالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[٤].

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) الحجر: ٢١.
(٢) بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٤ ح ٥٤.
(٣) بحار الانوار: ج ٩٢ ص ١٦٤ ح ١٧.
(٤) فاطر: ٤١.

﴿ثَمَانِيَةٌ﴾[١]. فكيف ذاك؟[٢] وقلت: إنه يحمل العرش والسماوات والأرض؟!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر، منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر، منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر، منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض، منه ابيضّ البياض؛ وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته[٣].

فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المتشتتة[٤]، فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فكلّ شيء محمول، والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء، وهو حياة كلّ شيء، ونور كلّ شيء، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزَّ وجلَّ، أين هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾[٥].

فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وان تجهر

---

(١) الحاقة: ١٧.
(٢) في الكافي: «فكيف قال ذلك».
(٣) في الكافي: «وذلك نور من عظمته».
(٤) في الكافي: «والاديان المشتبهة».
(٥) المجادلة: ٧.

بالقول فانه يعلم السرّ وأخفى؛ وذلك قوله تعالى:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ وَ لاٰ يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظيمُ﴾[١]. فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، وهو الملكوت[٢] الذيأراه الله أصفياءه وأراه خليله فقال: ﴿وَ كَذٰلِكَ نُري اِبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنينَ﴾[٣] وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا الى معرفته؟![٤] الخبر. وهو من غرر الأخبار.

وقد فسّر عليه السلام الحمل في الرواية، وهو قيام ذوات الوجودات بالله سبحانه، بقوله عليه السلام:«لا يستطيع... الى آخره»؛ ومنه يظهر كيفية حمل الحملة العرش، وهو قيامه بالحملة بتحميله سبحانه ايّاه لهم.

وقد اعتبر في الرواية العرش والكرسي واحداً، باعتبار كونهما من العلم؛ ولذا ورد حديث الحملة الأربع في كلّ منهما.

ففي **الخصال** عن الصفّار قال: قال الصادق عليه السلام: «إن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم؛ والثاني على صورة الديك، يسترزق الله للطير؛ والثالث على صورة الأسد، يسترزق الله للسباع؛ والرابع على صورة الثور، يسترزق الله للبهائم. ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل؛ فإذا كان يوم القيامة

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) ليس في الكافي عبارة: «وهو الملكوت».

(٣) الانعام: ٧٥.

(٤) الكافي: ج ١ ب ٤٣ ص ١٢٩ ح ١.

صاروا ثمانية»[١]، الخبر.

والروايات في هذا المعنى مستفيضة، وفي بعضها «النسر» مكان «الديك»؛ ولعلّ هذا المعنى من جهة اختلاف المشاهدة، كما هو معلوم عند أصحاب المشاهدة؛ ويشهد له قوله: «ونكس الثور...الى آخره»، فافهم.

وقد ورد مثله في الكرسي أيضاً، في تفسير العيّاشي عن الأصبغ قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْاَرْضَ﴾[٢]. فقال: «إنّ السماء والأرض وما فيهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله»[٣]، الحديث.

ويظهر من هذه الأخبار ـ أعني أخبار الحمل ـ أنّ في ذلك المقام تفصيلاً ما، أي انفصالاً للنوع عن النوع، حيث يثبت إنساناً وديكاً وثوراً وأسداً.

والنظر الصحيح فيها يُعطي أنّ الكرسي مقام تفرّق الأنواع وتفصيلها من الوجود المنبسط، وأنّ الحملة الأربع له، وللعرش باعتباره.

وأمّا العرش، بالمعنى الذي استفدناه، فهو مقام الكمون الّذي تجتمع فيه التفاصيل وتظهر روابطها؛ ولذا ورد أنّ الكرسي ظاهر العلم، والعرش باطنه.

وفي التوحيد مسنداً عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسي. فقال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وصنع[٤] في القرآن صنعة[٥] على حدة. فقوله:

---

(١) الخصال: ب ٨ ص ٤٠٧ ح ٥. (٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) تفسير العيّاشي: ج ١ ص ١٣٨ ح ٤٥٨.

(٤) في التوحيد: «وضع». (٥) في التوحيد: «صفة».

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يقول: ربّ الملك العظيم[١]؛ وقوله: ﴿اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ﴾[٢]، يقول: على الملك احتوى. وهذا علم الكيفوفية في الأشياء. ثمّ العرش في الوصل متفرّد عن الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لأنّ الكرسيّ هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع، ومنها[٣] الأشياء كلّها؛ والعرش هو الباب الباطن الّذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّة وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم العود والبدء؛ فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسيّ، وعلمه أغيب من علم الكرسيّ؛ فمن ذلك قال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أي صفته أعظم من صفة الكرسيّ، وهما في ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسيّ؟

قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفية فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأنيتها وحدّ رتقها وفتقها؛ فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصرف. وبِمَثَلٍ صرّف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء، وهو القويّ العزيز[٤]، الخبر.

قوله عليه السلام: «وفيه الظاهر.. الى آخره»، أي في الكرسيّ؛ ووجهه ظاهر ممّا قدّمنا.

وقوله عليه السلام: «أحدهما حمل صاحبه.. الى آخره»، يمكن إرجاع

---

(١) في التوحيد: «يقول: الملك العظيم». (٢) طه: ٥.

(٣) في التوحيد: «منه». (٤) التوحيد: ب ٥٠ ص ٣٢١ ح ١.

الضّمير الى كلّ منهما بوجه؛ فانّ الظاهر يحمل الباطن بوجه، كالعكس؛ لكن لايوجد في الروايات شيء يوجد فيه حمل العرش للكرسي، وقد يوجد العكس.

وقوله عليه السلام: «وبمثَل صرّف العلماء.. الى آخره»، ظاهره البناء للمجهول، وان كان البناء للمعلوم أيضاً صحيحاً. والتصريف بالأمثال انّما هو ستر للاسرار الالهية.

وقوله عليه السلام: «وليستدلّوا على صدق دعواهما.. الى آخره»، الظاهر أنّ الضمير للعرش والكرسيّ؛ وذلك أنّ في التمثيل إعطاء الدليل، فافهم. وما عدّه عليه السلام من أقسام العلوم فيهما قابل الاستفادة من الآيات التي ورد فيها ذكرهما.

والى ما مرّ يشير قول علي عليه السلام على ما في **الاحتجاج** في جواب من سأله عن بُعد ما بين الأرض والعرش فقال عليه السلام: «قول العبد مخلصاً: لا إله إلاّ الله»(١).

وفي **الفقيه** و **العلل** و **المجالس** للصدوق، روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل لم سمّي الكعبة كعبة؟

قال: لأنّها مربعة.

فقيل له: ولم صارت مربعة؟

قال: لأنّها بحذاء البيت المعمور، وهو مربع.

فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعاً؟

---

(١) الاحتجاج: ص ٢٥٩، قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» وأجوبته مسائل ابن الكوا.

قال: لأنّه بحذاء العرش، وهو مربع.

فقيل له: ولم صار العرش مربعاً؟

قال: لأنّ الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: «سبحان الله، والحمدلله، ولا إله إلاّ الله، والله اكبر»[١]، الحديث.

وهذه الكلمات الأربعة، كما ترى، أوّلها يتضمّن مرحلة التنزيه، والثانية مرحلة التشبيه، والثالثة مرحلة التوحيد، والرابعة التوحيد الأعظم. وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «أنّ معنى الله اكبر: الله اكبر من أن يوصف»[٢].

وفي **العلل** عن علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام:«علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿اِنّي جٰاعِلٌ في اْلاَرْضِ خَليفَةً قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فيهٰا وَ يَسْفِكُ الدِّمٰاء﴾فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب؛ فعلموا أنّهم أذنبوا؛ فندموا؛ فلاذوا بالعرش؛ واستغفروا[٣]؛ فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد؛ فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح؛ ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى البيت المعمور بحذاء الضراح؛ ثمّ وضع البيت[٤] بحذاء البيت المعمور؛ ثمّ أمر آدم، فطاف به، فجرى[٥] ذلك في ولده الى

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ب ١٣٨ ص ٣٩٨ ح ٢، وفي الفقيه مع اختلاف يسير: ج ٢ ص ١٩٠ ح ٢، الأمالي: مجلس ٣٥ ص ١٥٨ ولكن عن النبي(ص) مع اختلاف.

(٢) معاني الاخبار: ب ١١ ص ١١ ح ١ و٢.

(٣) في العلل: «فاستغفروا».

(٤) في العلل: «ثمّ وضع هذا البيت».

(٥) في العلل: «فطاف به فتاب الله عليه وجرى».

يوم القيامة[١]،الخبر.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة، ومنها يظهر أنّ نسبة العرش الى عالمه نسبة الكعبة الى عالمنا الدنيا؛ وقد مرّ في الكلام على الحجب رواية «أنّ الشمس جزء من سبعين جزءً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءً من نور العرش»، الخبر.

ومنه يظهر أنّ نسبة العرش الى حومته كنسبة الشمس الى عالمنا الدنيا، حيث إنّ لها تدبير أجسامٍ ما في حومتها ونظامها بما دبّرها العليم الخبير.

فقد تبيّن من جميع ما مرّ أنّ العرش هو باطن عالم التجرّد، وهو عالم العقول الطولية من الوجود المنبسط؛ والكرسي هو ظاهره، وهو عالم العقول العرضية وما دونه.

تتمة

وأنت بعد الإحاطة بما مرّ تعرف معنى ما ورد في المقام من متفرّقات الأخبار في التفسير:

«حملة العرش ثمانية، لكلّ واحد ثمانية أعين، كلّ عين طباق الدّنيا»[٢].

وفي حديث آخر: «حملة العرش ثمانيةٌ: أربعةٌ من الأوّلين، وأربعةٌ من الآخرين؛ فأمّا الأربعة من الأوّلين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأمّا الأربعة من الآخرين: فمحمّد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام»[٣].

---

(١) علل الشرائع: ج ٢ ب ١٤٢ ص ٤٠٦ ح ٧.

(٢) بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٢٧ ح ٤٣. (٣) المصدر السابق.

وفي **روضة الواعظين**: روى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام الى أن قال: «وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير ألف عام؛ والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله؛ والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة»(١).

أقول: وهذه المعاني مرويّة بطرق كثيرة أُخرى.

وورد: «أنّ آية الكرسي وآخر البقرة وسورة محمّد من كنوز العرش»(٢).

وورد: «أنّ صاد نهر يخرج من ساق العرش»(٣).

وورد: «أنّ العرش سقف الجنة»(٤).

وورد: «أنّ العرش يرتج عند بكاء اليتيم»(٥).

وورد: «أنّ الأُفق المبين قاع بين يدي العرش، فيه أنهار تطّرد، فيه من القدحان عدد النجوم»(٦).

وورد: «أنّ روح بعض الأئمة على العرش ينظر الى زوّاره»(٧).

---

(١) روضة الواعظين: في العجائب التي تدلّ على عظمة الله تعالى ص ٤٧، وبحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٤ ح ٥٤.

(٢) العلل: باب ١٠٦ ص ١٢٨ ح ٣، الدر المنثور: سورة البقرة ج ١ ص ٢٢٥. في العلل: «وأعطيتك لك ولأُمتك كنزاً من كنوز عرشي فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة». وفي الدر: «أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش».

(٣) في معاني الاخبار ب ١٧ ص ٢٢: «وأمّا «ص» فعين تنبع من تحت العرش».

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) بحار الانوار: ج ٧٢ ص ٥ ح ١٢.

(٦) البحار: ج ٥٨ ص ٢٩ ح ٤٨.

(٧) كامل الزيارات: ص ١٠٣.

وورد: «أنّ قلب المؤمن عرش الرحمن»(١).

وورد في الحديث القدسي: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»(٢)؛ الى غير ذلك من متفرّقات الروايات.

واعلم أنّ ما يعتقده الناس من كون العرش جسماً أعظم ما يكون كهيئة السرير فوق الأفلاك، أو أنّه الفلك التاسع المحدّد للجهات تطبيقاً بهيئة بطلميوس، فلم نجد له شاهداً يركن اليه من الروايات، بل بعض الروايات في مقام تكذيبه، كما مرّ فيما مرّ.

[كلام في اللوح والقلم]

وأمّا الكلام في القلم واللوح، فهما أيضاً من ضروريات الاسلام، تكرّر ذكرهما في القرآن، وتواترت بهما أخبار العامّة والخاصّة.

قال سبحانه: ﴿وَمٰا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ فِي الْاَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ وَ لاٰ اَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ اَكْبَرَ اِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا اِلاّٰ هُوَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّةٍ فِي ظُلُمٰاتِ الْاَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ اِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿وَ مٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلاّٰ عَلَى اللهِ رِزْقُهٰا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهٰا وَ مُسْتَوْدَعَهٰا كُلٌّ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ﴾(٥)، الآيات.

مزج سبحانه بين علمه وبين الكتاب، فأفاد أنّ علمه عين الكتاب

---

(١) بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٩.
(٢) بحار الانوار: ج ٥٥ ص ٣٩.
(٣) يونس: ٦١.
(٤) الانعام: ٥٩.
(٥) هود: ٦.

الذي هو مبين؛ وقال تعالى: ﴿وَ كُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنٰاهُ في إِمٰامٍ مُبينٍ﴾[١]،الآية. وسياق الآيات يعطي أنّ هذا العلم علم بالجزئيات وأشخاصها؛ فلو كان كتابة هذا الكتاب بالتخطيط والتسطير، نظير الكتب التي بيننا، لم يحتو إلاّ على المفاهيم التي هي كلّيات دون الجزئيات؛ إذ المفهوم ـ ولو تعيّن بأيّ تعيّن فُرض ـ يقبل الانطباق على اُمور كثيرة متماثلة. ويشير اليه قوله سبحانه:﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مٰا في السَّمٰاوَاتِ وَ مٰا في الْاَرْضِ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ اِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَةٍ اِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ اَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ اَكْثَرَ اِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ اَيْنَمٰا كٰانُوا﴾[٢]، الآية؛ وقال تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنٰا مٰا تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنٰا كِتٰابٌ حَفيظٌ﴾[٣]، الآية. فوصفه بأنّه حفيظ، وأنّه عنده؛ وقد أخبر سبحانه بأنّ ما عنده باقٍ لاينفد؛ فهذا الكتاب شامل لجميع جزئيات الموجودات وكلّياتها، بوجود باقٍ محفوظ لايتبدّل و لايتغيّر؛ كما قال سبحانه:﴿يَمْحُو اللهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ اُمُّ الْكِتٰابِ﴾[٤].

ثمَّ إنه سبحانه أثبت في هذه الآيات كتاباً واحداً سمّاه في موضع بالكتاب المبين، وفي آخر بأُمّ الكتاب، وفي آخر بالكتاب الحفيظ والكتاب المكنون والكتاب المسطور واللوح المحفوظ؛ ثمَّ قال تعالى:﴿كَلاّٰ اِنَّ كِتٰابَ الْاَبْرٰارِ لَفي عِلِّيّينَ ۞ وَ مٰا اَدْرٰاكَ مٰا عِلِّيُّون ۞ كِتٰابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿كَلاّٰ اِنَّ كِتٰابَ

---

(١) يس: ١٢.
(٢) المجادلة: ٧.
(٣) ق: ٤.
(٤) الرعد: ٣٩.
(٥) المطففين: ١٨ ـ ٢١.

الْفُجّارِ لَفِي سِجِّين * وَ ما اَدْرَاكَ ما سِجّينٌ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١] الآيات. فأثبت سبحانه كتاباً للسعادة وكتاباً آخر للشقاوة؛ ثمّ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمَامِهِمْ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إلىٰ كِتابِها﴾[٣]،الآية؛ فأثبت لكلّ امّة كتاباً على حدة؛ ثمّ قال تعالى: ﴿وَ كُلَّ إِنْسانٍ اَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾[٤]،الآية. فأثبت لكلّ انسان كتاباً على حدة؛ ثمّ قال سبحانه:﴿ما خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَ الْاَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما اِلاّ بِالْحَقِّ وَ اَجَلٍ مُسَمّىً﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ اَجَلٍ كِتابٌ﴾[٦]،الآية؛ فأثبت لكلّ موجود من الموجودات كتاباً واحداً بشخصه؛ ثمّ قال سبحانه: ﴿هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ اِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧]،الآية؛ فأثبت أنّ أعمالهم بنحو الاستنساخ من أمّ الكتاب، وأنّ سائر الكتب فروع مأخوذة منه؛ وهذا هو تنزّل الموجودات من مرحلة الغيب الى حيّز الشهادة. فهذا حديث الكتب والألواح.

ثمّ إنّ الله سبحانه أفاد بذلك لنا أنّ بينه سبحانه وبين الوجودات أمراً سبيله سبيل الكتاب يكتبه الملك منّا ليكون مأخذاً لصدور أحكام مملكته وبرنامجاً لتفصيل إجراءاته في مقام العمل. فهناك ما يجري مجرى المداد والقلم والكتاب. ولم يرد في القرآن ذكر من المداد والقلم غير قوله

---

(١) المطففين: ٧ ـ ١٠.
(٢) الاسراء: ٧١.
(٣) الجاثية: ٢٨.
(٤) الاسراء: ١٣.
(٥) الاحقاف: ٣.
(٦) الرعد: ٣٨.
(٧) الجاثية: ٢٩.

تعالى:﴿ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ﴾[١] على ما يفسّره بعض الروايات، وقوله تعالى: ﴿الَّذي عَلَّم بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الانْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢]، الآية.

ولعلّ ذلك لشدّة طريقية المداد والقلم في المطالب، كما هو المعمول أيضاً، فإنّ الذكر انّما يقع على الكتاب دون القلم والمداد. وأمّا ذكر الكتاب فكثير، كما لايخفى. وهو موجود واحد منبع لفيضان الفيوضات؛ فهو ملك بلاشك؛ وكيف لا، وهو مصدر الفيوضات ومنشأ الخيرات والبركات والإدراكات؛ فهو درّاك فعّال؛ فهو حيّ؛ فهو ملك، إذ هو الموجود الحيّ العالم الفعال الذي يتوسّط بين الحقّ والخلق، وان كان كلّ ما له فلمبدعه تعالى.

أقول: والأخبار أيضاً تبيّن هذا البيان، وتفسّرها على هذه الاعتبارات.

وقد ظهر من رواية حنان السابقة أنّ هذه أمثال ضُربت للناس، وما يعقلها إلاّ العالمون. والإشارة الى هذا المعنى كثير في الكتاب والسنّة.

وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم أنّه سأل الزنديق أبا عبدالله عليه السلام فقال: أوليس توزن الأعمال؟ قال: لا، انّ الأعمال ليست بأجسام؛ وانّما هي صفة ما عملوا؛ وانّما يحتاج الى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها وخفّتها؛ وانّ الله لايخفى عليه شيء. قال: فما معنى الميزان؟ قال: العدل، الحديث[٣].

وهذه الرواية تعطي ميزاناً كلّياً، وأنّ ما ورد عنهم في أمثال ذلك

---

(١) القلم: ١. (٢) العلق: ٤ و ٥.

(٣) الاحتجاج: احتجاج الصادق عليه السلام على الزنادقة ص ٣٥١.

لإتمام[١] الحجّة جواب مطابق لظواهر المعارف؛ وأمّا ممثّلات هذه الأمثال فلها معانٍ تحت هذه المعاني، غير أنّ السنخية اللازمة بين المثل والممثَّل لابدّ من وجودها. وعلى أيّ حال، فإذا رجعنا الى ما عندنا من الأُمور وجدنا أنّ المداد والقلم واللوح معتبرة عندنا لحفظ الإشارة الى الأعيان الخارجية في النقش.

وبعبارة مجازية: مراتب الوجود عند الناس ثلاث: الوجود الخارجي، والوجود الذهني، والوجود الكتبي. وكلّ من هذه الثلاث يحكي عمّا قبله؛ والحوادث المكتوبة موجودة في مقام الإجمال في القلم، وفي مقام التفصيل في اللوح. وبنظر أدقّ من ذلك، الإجمال والتفصيل كلاهما في المداد؛ والقلم حافظ لإجماله، مفيض لتفصيله، هذا.

فإذا ثبت في الوجود مداد وقلم ولوح مسطور فيه نظام الوجود، كان القلم مرتبة من مراتب الوجود، موجوداً فيها الموجودات بنحو الإجمال والبساطة، مفيضاً للتفصيل؛ وكان اللوح مرتبة أُخرى، موجوداً فيها تفاصيل الموجودات؛ وكان المداد مرتبة ثابتاً فيها الإجمال والتفصيل معاً؛ وهو الوجود المنبسط على ما دون الأسماء.

وهذه المراتب حيث إنّها مجرّدة الوجود أزيد من نوع واحد فيها، فمعها الحياة والعلم، على ما تقرّر في محلّه؛ فإذا لوحظت المراتب كانت متّحدة اتحاداً ما بالعرش؛ وإذا لوحظت الحدود والمهيات كانت أملاكاً ثلاثة.

والى المعنى الاوّل يشير ما في تفسير القمّي في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ

---

(١) في الاصل: «ذلك بانّه لإتمام الحجة».

﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١]، قال عليه السلام:« اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على العرش، وطرف على جبهة اسرافيل»[٢]،الخبر. وما سيأتي في رواية الأقصر.

ويدلّ على المعنى الثاني ما في **تفسير القمّي** مسنداً عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «اوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة»[٣].

أقول: وهذا المعنى مرويٌّ بطرق العامّة أيضاً.

وفي **معاني الاخبار** مسنداً عن إبراهيم الكرخي، قال: سألت جعفر بن محمّد عن اللوح والقلم فقال: هما ملكان[٤].

وفيه أيضاً مسنداً عن سفيان عن أبي عبدالله عليه السلام [سئل] عن «ن»: فقال: هو نهر في الجنّة قال الله عزَّ وجلَّ: اجمد، فجمد، فصار مداداً. ثمّ قال عزَّ وجلَّ للقلم: اكتب، فسطّر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة. فالمداد مداد من نور؛ والقلم قلم من نور؛ واللوح لوح من نور.

قال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله، بيّن لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلّمني ممّا علّمك الله.

فقال: يا ابن سعيد، لولا انّك أهل للجواب ما أجبتك. فنون ملك يؤدّي الى القلم، وهو ملك؛ والقلم يؤدّي الى اللوح، وهو ملك؛ واللوح يؤدّي الى اسرافيل؛ واسرافيل يؤدّي الى ميكائيل؛ وميكائيل يؤدّي الى

---

(١) البروج: ٢١ و ٢٢.
(٢) تفسير القمّي: ج ٢ ص ٤١٤.
(٣) تفسير القمّي: ج ٢ ص ١٩٨.
(٤) معاني الاخبار: ب ٢٠ ص ٣٠.

جبرئيل؛ وجبرئيل يؤدّي الى الأنبياء والرسل. قال: ثمّ قال لي: قم يـا سفيان، فلا آمن عليك[١].

وفي تفسير القمّي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبدالرحيم الأقصر عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن ن والقلم. قال: إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد؛ ثمّ قال لنهر في الجنة: كُن مداداً، فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من الشهد؛ ثمّ قال للقلم: اكتب. قال: يا ربّ، ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة وأصفى من الياقوت؛ ثمّ طواه، فجعله في ركن العرش؛ ثمّ ختم على فم القـلم؛ فـلم يـنطق بـعد، ولاينطق أبداً. فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها. أوَلستم عرباً؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام! وأحـدكم يـقول لصـاحبه: انسـخ ذلك الكتاب، أوَليس انّما ينسخ من كتاب آخر[٢] من الأصل؟ وهو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]، الحديث.

أقـول: وروي هـذا المـعنى في تـفسير العـيّاشي[٤] و العـلل[٥]

(١) معاني الاخبار: ب ١٦ ص ٢٣ ح ١. (٢) في المصدر: «اخذ».

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٧٩ في تفسير قوله تعالى: «ن والقلم ومايسطرون».

(٤) تفسير العيّاشي: سورة البقرة ج ١ ص ٣٠ ح ٥.

(٥) علل الشرائع: باب ١٤٢ ج ٢ ص ٤٠٢ ح ٢.

و **معاني الأخبار**[١]. قوله: «خلق القلم من شجرة في الجنّة.. الى آخره»، يستدعي سبق الجنّة على خلق القلم؛ وقد مرّت الرّواية: «أنّ القلم أول مخلوق»؛ ولا منافاة، بناءً على ما يعرفه أهله، أنّ من مراتب الجنّة ما لايطلق عليه لفظ الخلق. وقريب منه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اوّل ما خلق الله نور نبيّك، يا جابر»[٢] مع ما ورد «أنّ طينتهم مأخوذة من الجنّة والناس في غفلة عن هذا المعنى»[٣].

ومقتضى الرواية أنّ المداد إمّا مع القلم، وإمّا قبله؛ ولم نجد رواية تدلّ على أنّ اوّل ما خلق الله المداد، غير ما في **الخصال**، عن الباقر عليه السلام، قال: «إنّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر أسماء، خمسة في القرآن، وخمسة ليست في القرآن. فأمّا التي في القرآن: محمّد، وأحمد، وعبدالله، ويس، ون»[٤]، الحديث؛ مع ما في الخبر المشهور:«اوّل ما خلق الله نور نبيك، يا جابر»، هذا.

ويمكن بيان وجه لفظي له، وهو أنّ المعتبر في الوساطة عند الناس القلم واللوح، فأمّا المداد فهو فانٍ فيها، منقول عنه، غير منظور اليه استقلالاً؛ وقد مرّ هذا الوجه، فافهم.

وقوله «في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة.. الى آخره»[٥] تعبير عن اللوح، والرّق الجلد. وقد مرّ تعبير آخر عنه في رواية سفيان بأنّه لوح من نور؛

---

(١) معاني الأخبار: معنى الحروف المقطّعة ح ١ ص ٢٣.

(٢) البحار: ج ١٥ ص ٢٤ ح ٤٣.

(٣) وان كانت الطينة ادنى مرتبتها من النور (منه رحمه الله).

(٤) الخصال: ب ١٠ ص ٤٢٦ ح ٢.

(٥) في الاصل: «من الثلج».

وله تعبير آخر في حديث القمّي، في نزول اسرافيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «قال جبرئيل: إنّ هذا اسرافيل، وهو حاجب الرّبّ، وأقرب خلق الله منه؛ واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء»، الحديث.

وقد اختلف التعبير عن القلم أيضاً تارة بأنّه من شجرة الخلد في الجنّة، وتارة بأنّه قلم من نور؛ وعن المداد تارة بأنّه نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، وتارة بأنّه مداد من نور؛ وعن الجميع بأنّ المداد واللوح والقلم أملاك ثلاثة. ولعمري هذا الاختلاف في التعبير وأمثاله من أوضح الدليل على أنّها أمثال مضروبة بحسب اختلاف الجهات أو الأفهام. فهب أنّ هذه صنائع لفظية وتشبيهات شعرية ارتكبها أئمة الإسلام لتزيين اللفظ بتسمية أشياء باللوح والقلم والمداد والكتاب والميزان وأمثال ذلك، فما معنى تذييله بأنّه كان أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من الشهد، ونحو ذلك؟ فهل هذا إلاّ أنّها أمثال مضروبة، وأستار دونها أسرار؟ والله الهادي.

وقوله عليه السلام: «ثمّ طواه فجعله في ركن.. الى آخره»، إشارة الى اتّحاده بالعرش، كما مرّ في حديث القمّي.

وقوله عليه السلام: «ثمّ ختم على فم القلم.. الى آخره»، إشارة الى حتمية القضاء المكتوب فيه، كما في التوحيد و تفسير القمّي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: «سبق العلم، وجفّ القلم، ومضى القضاء، وتمّ القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل، وبالسعادة من الله

لمن آمن واتقى، وبالشقاء لمن كذب وكفر»[١]، الحديث. ولامنافاة بين كون هذا النظام في مرتبة من مراتب وجوده محتوماً غير قابل للتغيّر، وفي مرتبة أُخرى قابلاً له؛ فإنّ الإجمال وقبول التغيّر من لوازم مرتبة القوّة والإمكان من الاستعدادات المتفرقة؛ وأمّا المراتب العليا فمقدّسة عن شوب القوّة والإمكان، والى الله الرجعى.

وقوله عليه السلام: «أوَلستم عرباً.. الى آخره»، اشارة الى تنزّل وجود الأعمال من مراتب الغيب الى مراتب الشهادة، فإنّ الظاهر من الأخبار أنّ أعمال بني آدم الواقعة تنسخ أوّلاً عن اللوح المحفوظ، فيجيء به الملكان الى هذا العالم، ثمّ يصعدان به الى اللوح، فيقابل به.

ففي كتاب **سعد السعود** في رواية: «انّهما إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً ينسخ لهما اسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ، فيعطيهما ذلك. فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله اسرافيل بالنسخ التي انتسخ لهما، حتى يظهر أنّه كان كما نسخ منه»[٢]، الخبر.

وفي الوسائط من الملائكة الكتّاب بين اسرافيل والملكين أخبار أُخر، منها ما في كتاب **محاسبة النفس** لابن طاووس مسنداً عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث:«البيت المعمور فيه كتّاب أهل الجنّة عن يمين الباب، يكتبون أعمال أهل الجنة، و[فيه] كتّاب أهل النار عن يسار الباب، يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود»[٣]، الخبر.

---

(١) التوحيد: ب ٥٥ ص ٣٤٣ ح ١٣، تفسير القمي: سورة فاطر ج ٢ ص ٢١٠.

(٢) سعد السعود: ص ٢٢٦.

(٣) محاسبة النفس: ب ٥ ف ٢ ص ٢٨ مع اختلاف يسير.

وفي **المحاسن و العلل** مسنداً عن حبيب السجستاني، قال: قال أبوجعفر عليه السلام: «إنّما سُمّيت سدرة المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة الى محل السدرة. قال: والحفظة[١] الكرام البررة دون السدرة، يكتبون ما يرفعه اليهم الملائكة[٢] من أعمال العباد في الارض، فينتهي بها[٣] الى محلّ السدرة»[٤]، الخبر.

وفي **تفسير القمّي** عن الباقر عليه السلام، قال: «السجّين: الأرض السابعة، وعلّيّون: السماء السابعة»[٥]، الخبر.

أقول: وهذه الأخبار بظاهرها مختصّة بكتّاب أعمال بني آدم؛ ويدلّ على الأعم من ذلك ما في **تفسير القمّي** مسنداً عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام، أنّه سُئل: الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال عليه السلام: والذي نفسي بيده، لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض؛ وما في السّماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه؛ ولا في الأرض شجر ولا مدر إلاّ وفيها ملك موكّل بها، يأتي الله كلّ يوم بعملها، والله أعلم بها[٦]، الخبر.

أقول: والإحاطة بما قدّمنا من الأُصول يغني عن الإطالة في بيانها، على أنّ البناء على إيثار الاختصار.

---

(١) في المصدر: «الى محلّ السدرة والحفظة».

(٢) في المصدر: «ما ترفع اليهم الملائكة».

(٣) في المصدر: «فينتهون بها».

(٤) علل الشرائع: ج ١ ب ١٨٥ ص ٢٧٧ ح ١.

(٥) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤١٠ ذيل آية ٢١ من سورة المطففين.

(٦) بحار الانوار: ج ٥٩ ص ١٧٦ ح ٧ نقلاً عن تفسير القمّي.

ثمّ اعلم انّ الأخبار تكاثرت في ثبوت المحو والإثبات في الحوادث الخارجية، وهو البداء؛ وقد نطق به القرآن، قال تعالى: ﴿يَمْحُوُ اللهُ مَا يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾[1]، الآية. وهذا يوجب ثبوت ألواح وكتب أُخرى بعد اللوح المحفوظ، يتطرق اليها التغيّر؛ وحيث إنّ الوجود لاينقلب عمّا هو عليه بالضرورة، فالمكتوب في هذه الألواح من الحوادث وجوداتها الناقصة التي في ضمن مقتضياتها؛ فيوجب ذلك إجمالاً واحتمالاً لايتعيّن وجوداتها التامة فيها. وهذا الإجمال غير الإجمال الذي سبق في المداد والقلم؛ فإنّه فيهما بمعنى بساطة الوجود وشدّة صرافتها، بخلاف ما هاهنا، فإنّه بواسطة شوب المادة والاستعداد بوجه. ومنه يعلم أنّ هذه الألواح مادّية طبيعية؛ وأمّا المثالية والمجرّدة منها فينبغي أن يتصوّر على ما صوّرناه في «رسالة أفعال الله»، هذا.

ومثل هذا المحو والإثبات ثابت في كتب الأعمال بالكتاب والسنّة، كمحو السيّئة وإثبات الحسنة، وحبط الأعمال بواسطة بعض الذنوب والخطايا، والمغفرة، والشفاعة؛ والله أعلم.

[كلام في السماوات والأرض]

وأمّا الكلام في السماوات والأرض، فالكتاب والسنّة مملوّان من ذكرهما.

أقول: والمحصّل من ذلك أنّ في الوجود سبع سماوات؛ وأنّ السماء الدنيا

---

(١) الرعد: ٣٩.

هي التي فيها هذه النجوم والكواكب المحسوسة، وهي تسبح فيها، والمجرّة شرجها، كأنها عروة كيس تجمع رأسها؛ وانّ هذا الجوّ مكفوف مجتمع؛ وأنّ في الوجود سبع أرضين مخصوصة في الكتاب العزيز بالذكر في قوله تعالى:﴿وَ مِنَ ٱلاَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[١]أحدها أرضنا، ونحن من الأرض، وهي في الجوّ، وهي مدحية مبسوطة ليست بالموجودة دفعة، ولها حركة ما؛ وأنّ في الوجود عوالم كثيرة لاتحصى، قد انقرض منها عدد كثير، وعدد كثير منها باقٍ بعد.

هذا هو الذي يتحصّل من الكتاب والسنّة للذهن الخالي الغير المتقلّد بالتقليد. قال الله تعالى:﴿الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِباقاً﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزينَةٍ الْكَواكِبَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤].

وفي كتاب **الاحتجاج** وغيره عن أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل عن المجرّة، قال: «شرج السماء»[٥]، الخبر.

وفي النهج قال عليه السلام: «اللهمّ ربّ السقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الذي جعلته مفيضاً للّيل والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم السيّارة»[٦].

وقال تعالى: ﴿الَذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ ٱلاَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

(١) الطلاق: ١٢. (٢) الملك: ٣.

(٣) الصافات: ٦. (٤) الانبياء: ٣٣.

(٥) الاحتجاج، قوله عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» واجوبته مسائل ابن الكوا ص ٢٦٠.

(٦) نهج البلاغة: خطبة ١٧١ ص ٢٦٠.

ٱلاَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَ ٱلاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَ ٱلاَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فيهَا رَوَاسِيَ﴾[٣].

وقال تعالى:﴿وَ ٱلاَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ ٱلاَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ اِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الى أن قال: ﴿اَوَ لَمْ يَرَوْا اِلَىَ الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ اِلاَّ الرَّحْمٰنُ﴾[٥]، الآية.

وقد نطقت الأخبار: «انّ لله عوالم كثيرة، فيها خلائق كثيرون مكلّفون؛ وانّ الله خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنتم في آخرهم»؛ وغير ذلك ممّا يخرجنا استقصاؤها الى الاطناب.

أقول: وأمّا أنّ غير السّماء الدنيا والأرض من بقية السماوات والأرضين ما هي في حقيقتها؟ فلا يظهر تمام الظهور.

والذي ينبغي أن يقال هو أنّه تواترت النصوص كتاباً وسنّةً أنّ هذه السماوات السبع مملوّة من الملائكة؛ وأنّ منهم سدنة لأبوابها، ومنهم حفظة لها، ومنهم ملائكة متعبّدة متنسّكة راكعة أو ساجدة أو قائمة أو والهة، ومنهم سيّارة تنزل بالأمر الإلهي أو تعرج بالأخبار والكتب أو تصعد بالألواح والأعمال سماءً سماءً الى ما فوق السماء السابعة؛ وهناك سدرة المنتهى، تنتهي اليها أعمال بني آدم، وعندها جنّة المأوى وبحار الأنوار والحجب؛ وأنّ من الملائكة من رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم

---

(١) الطلاق: ١٢.
(٢) النازعات: ٣٠.
(٣) الحجر: ١٩.
(٤) الذاريات: ٤٨.
(٥) الملك: ١٥ ـ ١٩.

الأرض السابعة؛ وأنّ من أرواح الأنبياء والأولياء من هو ساكن في السماء، الى غير ذلك.

وإذ سيجيء أنّ هذه كلّها موجودات غير مادّية، بل هي بين أجسام لطيفة مفارقة للمادّة مثالية، أو جواهر مجرّدة تجرّداً تامّاً، فحقيقة الأمر على أحد وجهين:

إمّا أن يكون تمكّنهم في هذه الأماكن كتمكّن نار البرزخ في البرهوت، وجنّة البرزخ في وادي السلام وبين قبر النبي ومنبره، ومثل كون القبر روضةً من رياض الجنّة أو حفرةً من حفر النيران؛ وهو وجود أمر في باطن أمر.

وإمّا أن تكون هذه السماوات أُموراً برزخيةً، كما يظهر من أخبار أُخر.

لكنّ ظاهر الأخبار أنّ في عالمنا المادّي أرضون وسماوات مادّية؛ وعلى كلا التقديرين يثبت سماء وأرض من غير مادّة.

وممّا هو ظاهر الدلالة على ذلك ما في كتاب **الغارات** باسناده عن ابن نباتة قال: سُئل أميرالمؤمنين عليه السلام: كم ما بين السماء والأرض؟ قال عليه السلام: «مدّ البصر ودعوة المظلوم»[1]، الخبر.

وروي مثله بسند آخر، وفي آخره: «لانقول غير ذلك».

والجمع بين الحكمين، مع كون أحدهما حكم مادّي والآخر حكم غير مادّي، من جهة اتحادهما في الحقيقة وكون النسبة بينهما نسبة الظاهر والباطن؛ وهذا كثير في الأخبار الحاكية عن شؤون السماء وغيرها، كالجنّة والنار. وقال تعالى: ﴿وَ في السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُون﴾[2].

---

(١) الغارات: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) الذاريات: ٢٢.

وما في علل الشرائع في حديث عن الصادق عليه السلام: «فهكذا الانسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة؛ فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض، لأنّه نزل من شأن السماء الى الدنيا؛ فإذا فرّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت، تردّ شأن الأُخرى الى السماء. فالحياة في الأرض، والموت في السماء وذلك أنّه يفرّق بين الأرواح والجسد؛ فردّت الروح والنور الى القدس[1] الاولى، وترك الجسد لأنّه من شأن الدنيا»[2]، الحديث.

فيظهر ممّا مرّ أنّه كما أنّ في عالمنا المادّي أرضاً وسماءً، كذلك فوق هذا العالم سماء، وهي التي تعرج اليها الأرواح الطيّبة السعيدة وتتنعّم فيها، وهي جنّة البرزخ؛ وأرضٌ، وهي التي تهبط اليها الأرواح الخبيثة الشقية وتتعذّب فيها، وهي نار البرزخ. والأرواح في هاتين حتى تفنى بفناء المثال، ويقوم الناس لربّ العالمين، هذا.

ومن هنا انّك إذا راجعت الأخبار التي فيها:« أنّ الملائكة بعد قبض أرواح السعداء يعرجون بها الى السماء الى الله سبحانه، ثم يؤمر بها الى الجنّة» لا يوجد فيها ما يحكى عن أنّها يهبط بها الى الأرض ثمّ تدخل الجنة، مع أنّ جنة البرزخ بمقتضى الأخبار في الأرض وفي القبر.

ويشهد لما مرّ أيضاً ما في البصائر مسنداً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَ كَذٰلِكَ نُري إِبْراهيمَ

---

(١) في المصدر: «القدرة».

(٢) علل الشرائع: ج ١ ب ٩٦ ص ١٠٧ و١٠٨ ح ٥.

مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ وَ ٱلْاَرْضِ﴾[1]؛ قال: فكنت مطرقاً الى الأرض، فرفع يده الى فوق، ثمّ قال لي: ارفع رأسك. فرفعت رأسي، فنظرت الى السقف، قد انفجر، حتّى خلص بصري الى نور ساطع حار بصري دونه. قال: ثمّ قال لي: رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا[2]، الخبر.

وما عن الصادق عليه السلام، قال: «اذا كان ليلة القدر، نزلت الملائكة والروح الى السماء الدنيا؛ فيكتبون ما يكون من قضاء الله في تلك السنة»[3]، الحديث؛ مع ما ورد «أنّ الرّوح بعدما نزل الى الأرض مسدّداً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يعرج بعد، وهو مع أهل البيت يسدّدهم»[4]، الخبر.

ويظهر منهما أنّ إحاطة السماء الأُولى بالأرض من قبيل إحاطة الباطن بالظاهر، لا كما يقولون من إحاطة الفلك.

[كلام في الملائكة]

وأمّا الكلام في الملائكة، فوجودهم من ضروريات الاسلام؛ ويمكن أن يقال: إنّ الامر كذلك في الجملة في سائر الملل. وقد استفاضت الأخبار بأنّهم أكثر خلق الله أصنافاً وأفراداً؛ واستقصاء أصنافهم تفصيلاً خارج عن العهدة، لكن يجمعهم أقسام ثلاث:

---

(١) الانعام: ٧٥.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء الثامن ص ٤٠٤ و٤٠٥ ح ٤.

(٣) بحار الانوار: ج ٩٤ ص ١٢ ح ١٨.

(٤) بحار الانوار: ج ٢٥ ص ٥٩ ـ ٦١.

القسم الاول: الملائكة المهيمون، وهم الواهون في عظمة الله سبحانه، لا يشعرون بشيء ولا بأنفسهم.

ففي البصائر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل، جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. ثمّ قال عليه السلام: إنّ موسى لمّا سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكرّوبيّين، فتجلّى للجبل، فجعله دكاً»[1]، الحديث.

وأنت بعد التدبّر في قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[2] الآية، والروايات التي في موردها، تقضي بأنّ هذه الملائكة فانون في الله سبحانه، لا يشعرون بغيره، وليس لهم إلاّ الله سبحانه.

وقوله عليه السلام: «جعلهم الله خلف العرش...» يومئ اليه: فانّ العرش هو عالم التدبير والقضاء والقدر، اليه ينتهي التفاصيل والأحكام؛ فلا أثر خلفه من ذلك البتة.

وفي الخبر أيضاً: «انّ العالين قوم من الملائكة، لا يلتفتون الى غير الله، ولم يؤمروا بالسجود لآدم، ولم يشعروا أنّ الله خلق العالم ولا آدم».

القسم الثاني: الملائكة المتعبّدون المتنسّكون، ففي النهج في خطبة له عليه السلام: «ثمّ فتق ما بين السماوات العُلى، فملأهنّ اطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان»[3]، الخطبة. وهذا المعنى مرويّ مستفيضاً.

---

(١) بحار الانوار: ج ٥٦ ص ١٨٤ ح ٢٦.

(٢) الاعراف: ١٤٣.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤١.

القسم الثالث: الملائكة العمّالة الموكّلون بالعالم من حملة العرش والكرسي، والموكّلين بالسماوات والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والجوّ والسحاب والأمطار والرعد والبرق والصواعق والشهب والرياح والأرض والعناصر والبحار والجبال والأودية والنبات والحيوان والانسان والأعمال والأزمان والأمكنة والحياة والرزق والموت والبرزخ والحشر والجنة والنار وغير ذلك، حتى يظهر من بعض الأخبار عموم وساطتها لجميع جزئيات جهات العالم من الذوات والأعيان وآثارها؛ وقد تقدّم بعضها في الكلام على اللوح والقلم.

وهذا القسم بنفسه طبقات مختلفة، من آمر ومأمور، ورئيس ومرؤوس في كلّ عمل موكّل به؛ ومنهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل.

واعلم أنّ أصناف الملائكة كلّهم معصومون بنصّ القرآن وتواتر الأخبار، غير ما في بعض أخبار قصة «هاروت وماروت»، وقد ردّه أخبار أُخر؛ وما في خبر واحد عامي من قصة «دردائيل»، وفي آخر من قصة «فطرس»؛ وهي على انّها آحاد مجملة.

والغرض في المقام بيان أنّ هذه الأصناف موجودات مفارقة للمادّة، بين مثالي ومجرّد تام؛ والبرهان المذكور في اوّل الرسالة يثبت هاهنا أنّ لكلّ من موجودات عالمنا المادّي مرتبة من المثال ومرتبة من العقل، هما في طوله؛ وهو المطلوب. وفي الآيات والأخبار شواهد على ذلك.

منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ

بِإِذْنِ اللهِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[٣]

ومن المعلوم أنّ هذا القلب ليس المراد به اللحم الصنوبري المعلّق عن يسار المعدة، بل هو الذي يفهم ويعقل، وهو النفس؛ فنزوله على القلب لا يستقيم إلاّ مع كون وجود النازل مجرّداً في الجملة، كوجود المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[٤] الآية، ومثلها آيات أُخر؛ إذ ظاهرها أنّ إنزال الملك بلباسه الملكي ووجوده الملكوتي ملازم لقضاء الأمر وعدم الإنظار ودخول الناس في نشأة ما بعد الموت، حتى يتسانخوا ويتجانسوا مع الملائكة؛ وتلك نشأة مفارقة للمادّة، فوجود الملائكة منها، فهي مفارقة.

ومنها: ما ورد في الأرواح، ففي البصائر مسنداً عن الحلبي، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[٥] قال: «انّ الله تبارك وتعالى أحدٌ صمدٌ، والصّمد الذي ليس له جوف؛ وانّما الروح خلق من خلقه، له بصر وقوة وتأييد، يجعله الله في

---

(١) البقرة: ٩٧.
(٢) الشعراء: ١٩٣ و ١٩٤.
(٣) النجم: ١١ و١٢.
(٤) الأنعام: ٨ و ٩.
(٥) الاسراء: ٨٥.

قلوب الرسل والمؤمنين»[١].

وفيه مسنداً عن الحسن بن جهم عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان؛ وفي المؤمنين أربعة أرواح: انّما فقدوا روح القدس: روح البدن، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان؛ وفي الكفار ثلاثة أرواح: روح البدن، وروح القوة، وروح الشهوة. ثمّ قال: وروح الإيمان يلازم الجسد، ما لم يعمل بكبيرة؛ فإذا عمل بكبيرة فارقه الروح؛ وروح القدس من سكن فيه فانّه لا يعمل بكبيرة أبداً»[٢].

وفي الكافي مسنداً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل؛ وقال له الشيطان: افعل؛ وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان»[٣]، الحديث. يشير عليه السلام الى الزنا.

وفي الكافي مسنداً عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «ما من قلب إلاّ وله أُذنان؛ على إحداهما ملك مرشد، وعلى الأُخرى شيطان مفتّن. هذا يأمره، وهذا يزجره؛ الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها. وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا

---

(١) بصائر الدرجات: الجزء التاسع ب ١٨ ص ٤٨٣ ح ١١.

(٢) بصائر الدرجات: الجزء التاسع ب ١٨ ص ٤٦٧ ح ٣.

(٣) الكافي: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٧ ح ٢.

يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ الاّ لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾»[١]، الحديث.

قوله عليه السلام: «وذلك قول الله عزّ وجلّ.. الى آخره»، يظهر منه أنّ مراده تعالى من قعودهما عن اليمين والشمال قعودهما عن يمين القلب وشماله، أي النفس وسعادته وشقاوته؛ وكونه ذا أُذنين باعتبار سمعه وطاعته لآمر الخير وآمر الشر.

وقوله عليه السلام في خبر أبي بصير: «نزع منه ..الى آخره»، ونظير هذه العبارة في انتزاع روح الايمان وارد في الأخبار كثيراً، يلوح منه أنّ لها اتحاداً ما بالنفس، فهي مقوّمات لجهات النفس.

ويظهر من ضمّ الخبرين الأخيرين أنّ روح الإيمان مع ملك؛ ويدلّ عليه ما في الكافي و تفسير العيّاشي عن الصادق عليه السلام:«ما من مؤمن إلاّ ولقلبه أُذنان في جوفه؛ أُذنٌ ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذنٌ ينفث فيها الملك؛ فيؤيّد الله المؤمن بالملك؛ فذلك قوله تعالى:﴿وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾»[٢]، الخبر.

وكذا ما في الأخبار الكثيرة: «إنّ روح القدس ملك وربّما أيّد المؤمن».

وبالجملة فمن المعلوم أن ليس في قلوبنا حين الهمّ بالحسنة أو السيّئة إلاّ خطرات تخطر؛ وهي كلام نفسي لنا، وهي بعينها كلام ملك أو شيطان، والكلام واحد بعينه؛ فمتكلّمه واحد بعينه؛ فلو كان الملك الذي يكلّمنا أمراً ماديّاً لكان اللازم اتحاد الاثنين، وهو محال؛ فليس إلاّ انّه موجود مثالي؛ ولايلزم من ذلك الاتحاد المستحيل، لكون أحدهما في طول

---

(١) الكافي: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٦ ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ب ١٠٩ ص ٢٦٧ ح ٣، وتفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٢١ ح ١١٠.

الآخر، فافهم. وهذا الوجه ناهض في مثالية الشيطان المفتّن أيضاً.

ومنها: ما ورد مستفيضاً في أخبار البرزخ، من وجود ملائكة موكّلة بروح الإنسان بعد موته في البرزخ، كمنكر ونكير، ومبشر وبشير، وملائكة جنته وناره، والصاعدين بروحه؛ وحيث إنّ البرزخ مثال فهي مثالية.

ومنه: الأخبار الواردة في غريب خلقهم وعجيب شأنهم؛ ففي نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام في الملائكة: «ومِنهم الثابِتة في الارضين السّفلىٰ أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، المناسبة لقوائم العرش أكتافهم»[1]، الخطبة.

وفي تفسير القمّي مسنداً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالساً، وعنده جبرئيل، إذ حانت من جبرئيل [نظرة] قبل السماء، فانتقع لونه حتّى صار كأنّه كُركُم، ثمّ لاذ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الى حيث نظر جبرئيل، فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتّى كان كقاب من الأرض، الى أن قال: قال (يعني جبرئيل): هذا اسرافيل حاجب الرّبّ»[2]،الخبر.

وفي التوحيد عن الصادق عليه السلام، أنّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبّـهِ الْكُبْرىٰ﴾[3]، فقال: «رأى جبرئيل على ساقه الدرّ،

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤١.

(٢) تفسير القمّي: سورة بني اسرائيل الآية ٨٠ ـ ٩٥ ج ٢ ص ٢٧، بحار الانوار: ج ٥٦ ص ٢٥٠ ح ٨

(٣) النجم: ١٨.

مثل القطر على البقل، له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض»[١]، الحديث.

والروايات وردت أكثر من أن تحصى في نزولهم واختلافهم، وأنّ منهم سكنة الهواء والأرض والأماكن المقدّسة آلافاً آلافاً، وأنّهم ينزلون مع قطرات الأمطار ومع كلّ شخص وكلّ عمل، وفي ليلة القدر اُلوف من الملائكة، لايحصي عددهم إلاّ الله سبحانه.

ومساق هذه الأخبار والآثار يأبى أن نقول: إنّ لاختلاف موجودات عالمنا وتقلّباتها وانقلاباتها تأثيراً فيهم، فلا يوطأون بالأقدام، ولا يضغطون، ولاتخرق حركات الأجسام أبدانهم، مع أنّهم قد ملأوا الفضاء والسطح؛ مع أنّ الضرورة تقضي بالمزاحمة بين المادّيات والجسمانيات؛ ولايبصرون، ولا يلمسون، ولايحسّ بهم، ولا غير ذلك من أحكام المادّيات؛ فليسوا بالأجسام المادّية، وانّما للمادّيات نسبة إليهم، هذا.

وما ربّما يقال: إنّ الله سبحانه قادر أن يصرف المادّيات عنها، فلا تحسّ بها ولاتزاحمها. ويجعل القوّة على رؤيتهم والارتباط بهم في بعض أشخاص الانسان كالأنبياء عليهم السلام، فيختصّوا برؤيتهم وكلامهم مثلاً، فكلام يشبه بظاهره كلام المسلّمين من المسلمين، وبباطنه يهدم أساس الدين؛ إذ لو جاز مثل هذا الخطأ العظيم في الحسّ لم يثبت لنا نبيّ ولاكتاب ولا شرع ولا اعجاز، ولحقنا بالسوفسطائية، ولم يثبت توحيد حتّى تصل النوبة الى الكلام في الملائكة، على أنّ الضرورة تدفعه.

وما أثبتنا في محلّه من الخطأ في الحسّ انّما هو الخطأ في الحكم الذي معه،

---

(١) التوحيد: ب ٨ ص ١١٦ ح ١٨.

لا في المحسوس الحاصل عند الحس؛ فما نراه من صغر النجوم مثلاً فالذي عند الحس من نقطة بيضاء هو هذا القدر، وهو ضروريٌّ بديهيٌّ؛ والخطأ انّما هو في حكمنا أنّ النجم في نفسه على هذا المقدار من الحجم، على ما يثبته أحكام الزوايا المثلثية من حجمها.

ومنها: الأخبار الكثيرة الواردة في عصمتهم الذاتي، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُون * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾[2]، الآية؛ فمن المعلوم أن لو كانت فيهم مادّة، وهي حاملة للقوّة والإمكان وأفعالهم صادرة عن علم، كان ذلك منهم اختيارياً متساوي الوجود والعدم، كالانسان؛ ولم يكونوا مجبولين على الطاعة، ولاستوجبوا بالطاعة مزيد الثواب، مع أنّ العمالة منهم عمالة الى أبد الآبدين، من قبل وفي الدنيا والآخرة وفي الجنّة والنار.

ومنها: ماورد أنَّ طعامهم التسبيح، وشرابهم التهليل، أي أنّ قوام وجودهم الخارجي بالتوحيد والتنزيه؛ وأمّا الحمد والتشبيه فلم يرد فيه نصّ غير ما في قوله تعالى: ﴿وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِكَةُ مِنْ خيفَتِهِ﴾[3]، ولم يرد «ويحمدون»، ووجهه واضح عند العارف بالحقائق.

وفي رواية أُخرى في **العلل** لمحمد بن علي بن إبراهيم، سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون؟ قال: «لا انّهم يعيشون بنسيم العرش». فقيل له: فما العلّة في نومهم؟ فقال عليه السلام: «فرقاً بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ؛ لانّ الذي لاتأخذه سنة ولا نوم

---

(١) الانبياء: ٢٦ و ٢٧. (٢) فصّلت: ٣٨.

(٣) الرعد: ١٣.

هو الله»[١]، الخبر.

وحديث نومهم وارد في أحاديث أُخر، منها ما في إكمال الدين مسنداً عن داود بن فرقد في حديث حدّثه بعض أصحابه عن الصادق عليه السلام، فقال عليه السلام: «ما من حيّ إلاّ وهو ينام خلا الله وحده عزَّ وجلَّ، والملائكة ينامون. فقلت: يقول الله ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[٢]؟ قال: أنفاسهم تسبيح»[٣]، الخبر.

وقد مرَّ في أوّل الكلام قول علي عليه السلام: «لا يغشاهم نوم العيون» الخطبة؛ فلو صحّت هذه الأخبار كان المراد من نومهم ما هو مثل قوله عليه السلام: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»[٤]؛ وما ورد مستفيضاً في أخبار البرزخ، كما في الكافي مسنداً عن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث: «ثمّ تؤخذ روحه، فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله، ثمّ يقال له: نم قرير العين؛ فلا تزال نفحة من الجنّة تصيب جسده يجد لذّتها وطيبها حتّى يُبعث»[٥]، الحديث.

وجملة المعنى أنّ نسبة جنّة الآخرة الى البرزخ، وكذلك نسبة البرزخ الى الدنيا كنسبة اليقظة الى النوم؛ وكذا في الملائكة نوم غير نوم العيون وغفلة العقول، نسبته الى ما عليه الحقّ سبحانه نسبة النوم الى اليقظة؛ فمن فقد شيئاً فقد نام عنه. والحاصل أنّ تعيّشهم بنسيم العرش، وهو التسبيح والتهليل؛ وقد عرفت أنّ العرش ما هو؟ انّما هو مشاهدة التوحيد

---

(١) بحار الانوار: ج ٥٦ ص ١٩٣.
(٢) الانبياء: ٢٠.
(٣) بحار الانوار: ج ٥٦ ص ١٨٥.
(٤) مائة كلمة جاحظ: ح ٢.
(٥) الكافي: ج ٣ كتاب الجنائز ص ٢٤٢ ح ١.

والتنزيه؛ فبه قوام وجودهم؛ فحجاب المادّة ليس مضروباً دونهم.

وفي كتاب الدرر والغرر للآمدي عن المناقب: وسُئل ـ يعني علياً عليه السلام ـ عن العالم العلوي؛ فقال: «صور عارية من المواد، خالية عن القوة والاستعداد؛ تجلّى لها فأشرقت؛ وطالعها فتلألأت؛ وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله»[1]، الحديث. وهاهنا مباحث أُخر ربما تعرّضنا لبعضها في الكلام على الشيطان، على حسب ما يسوغه المجال.

[كلام في الشياطين]

وأمّا الكلام في الشيطان، فهو أيضاً من ضروريات هذا الدين، بل سائر الملل. وقد تواترت الآثار وتكرّر في القرآن إثبات خصوصيات عجيبة لهذا المخلوق. والكلام الجامع فيه أن نقول: كما أنّ الإسلام يثبت وراء الحسّ موجودات كثيرة موكّلة بجميع جهات العالم، تدعو الى الخيرات، وتهدي الى الحسنات، وتفيض البركات، وسمّتها الملائكة، فالملك موجود غير محسوس له مبدئية ما للخيرات والحسنات والبركات؛ كذلك يثبت وراء الحسّ موجودات أُخرى موكّلة بالإنسان وغيره، تدعو الى الشرور، وتهدي الى كلّ معصية ومخالفة، يسمّيها الشيطان وذرّيته، فالشيطان موجود غير محسوس له مبدئية ما للشّرور والمعاصي.

أقول: إذا فرضنا معصية ما فهي مخالفة، والمخالفة لا يتحقّق إلاّ مع

---

(١) الدرر والغرر: ج ٤ ص ٢١٨.

تصوّر موافقة في محلّها واطاعة؛ والموافقة بالطاعة لاتكون بشباهة الفعل بالفعل، بل بمطابقة الفعل لما يريده آمر بأمر مثلاً؛ والأمر اللفظي انّما هـو لإيصال الأمر الى المأمور، لا لموضوعية له في نفسه بالضرورة. ولذا كان الأمر العقلي كالأمر اللفظي؛ والأمر أمرٌ اعـتباري، اعـتبر للـتوصّل الى وجود فعل مراد من الغير بـالبعث والتـحريك الاعـتباري للـمأمور الى المأمور به. وإرادة الفعل لاتكون إلاّ بمحبّة تامّة، فالذي يصدر عن الفاعل المطيع انّما هو الذي يحبّه الآمر من حيث إنّه يحبّه، وإلاّ لم يكن موافقة؛ أي أنّ علم الفاعل في إرادته الفعل انّما تعلّق بالفعل بما أنّ الآمر يحبّه، أي بمحبة الآمر مشاهداً تعلّقها بالفعل ووجودها في الفعل. وحيث إنّ العلم متّحد بالمعلوم فمنشأ الفعل إرادة الآمر التي عند الفاعل؛ فهذا الفعل انّـما تحـقّق بفناء إرادة الفاعل في إرادة الآمر. وحيث إنّ الفعل أثر الفاعل، ووجوده رابط غير مستقل بالنسبة الى الذات، فللذات وجود ما في مرتبته؛ ففناء الإرادة في الإرادة يستلزم فناء مـا للـذات في الذات في هـذه المـرتبة؛ فيختلف الفناء المذكور باختلاف الأفعال؛ فهناك فناءات مختلفة بالنسبة الى الأفعال المختلفة والطاعات المتشتتة.

ومثل البرهان يثبت في جانب المعصية أنّ المعصية لاتتحقّق إلاّ بأنانيّة بالنسبة الى ذات الآمر بوجه ما؛ وهي خلاف الفناء، أي الغفلة عن ذات الآمر وتوجّه المأمور الى ذات نفسه.

وحيث إنّ الكلام في اطاعة الحقّ سبحانه ومعصيته، ولا ذات موجودة بالاستقلال إلاّ ذاته، فالتوجّه الى ذات اُخرى غير متصوّرة هناك، بل هي الغفلة عن أنّه هو به، لا عن هو البسيط، فانّه غير متحقّق البتة.

فقد تحقّق أنّ المعاصي بجميع أنحائها لاتتحقّق إلاّ مع الغفلة عن الحقّ سبحانه ودعوى الأنانية؛ وتختلف أقسام هذه الدعاوى باختلاف أقسام الأفعال التي هي معاصٍ اختلافاً شديداً. فهذا هو المتحقّق في مرتبتنا الطبيعية، ولها بالضرورة مثل في مرتبة المثال، نسبتها في الكليّة والجزئيّة والمنشأية والتولّد نسبة ما في عالم الطبيعة، بمقتضى ما مرّ من البرهان في أوّل الرسالة. فهي موجودات متقدّمة عليها بوجه، أحياء في أنفسها، لها مبدئية ما بالنسبة الى ما في عالم الطبيعة من ممثّلاتها؛ وهذا الموجود غيرالمحسوس الذي هو مبدأ عام للمعاصي مع المبادىء الجزئية التي لها هو الذي نسمّيه بالشيطان وذرّيته.

هذا ما سنح ببالي من البرهان على وجوده، ولم أجد مجال المراجعة الى كتب القوم، فما أدري هل سبقني اليه أحد، أو جاء ببرهان غير هذا. ومنه يتبيّن معاني عامّة ما ورد في خصوصيات وجوده وذرّيته وحالاتهم وكيفية وساوسهم وغير ذلك.

ومن البرهان يظهر وجه عدم سجدته لعنه الله لآدم، لانّه غير خاضع لذات الانسان النوريّة التي هي خليفة الله في أرضه، لأنّ ذاته قائمة بالأنانيّة. وقد ورد في الخبر: «إنّ أوّل من قال أنا، إبليس، وانّه انّما استحقّ اللعن بذلك»[1]. قال تعالى: ﴿اِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ اِنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طينٍ * فَاِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدين * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ * اِلاّ اِبْليسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرينَ﴾[2]، الآيات.

---

(١) العلل: باب ٥٤ ج ١ ص ٦٢ ح ١. (٢) ص: ٧١ ـ ٧٤.

ويظهر ممّا مرّ أنّه لعنه الله كما لم يسجد لآدم لم يسجد لذرّيته أيضاً، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنٰاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰاكُمْ ثُمَّ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَةِ اسْجُدُوا لآِدَمَ فَسَجَدُوا اِلاّٰ اِبْلِيسَ﴾[1]، الآية.

وكما أنّه لم يسجد هو لعنه الله، لم يسجد ذرّيته أيضاً، ففي نهج البلاغة في خطبة له عليه السلام في صفة خلق آدم عليه السلام: «واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته اليهم في الإذعان بالسجود له، والخشوع[2] لتكرمته، فقال سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لآِدَمَ فَسَجَدُوا اِلاّٰ اِبْلِيسَ﴾[3] وقبيله اعترتهم الحميّة، وغلبت عليهم الشقوة»[4]، الخطبة. ويستفاد هذا المعنى من قوله سبحانه: ﴿اِنَّهُ يَرٰاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ تَرَوْنَهُمْ﴾[5]، الآية.

ومن البرهان يظهر أنّ التخلّص[6] منه لعنه الله بالكلّية لا يتحقّق إلاّ مع الخلوص لله سبحانه؛ قال سبحانه حكاية عن ابليس حين رجم وانظر: ﴿قٰالَ فَبِعِزَّتِكَ لَاُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ * اِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[7] وهم الذين اخلصوا لله، بالبناء للمجهول، فلا يبقى غاية لهم، إمّا ذاتاً أو اسماً أو فعلاً فقط، إلاّ الله سبحانه، وهو الخلوص بأحد وجوهه. وذلك لأنّه يرتفع موضوع الوسوسة حينئذٍ، وهو الأنانية والغفلة عن الحقّ سبحانه. وذلك قوله عليه السلام: «إنّ شيطاني أسلم

---

(١) الاعراف: ١١. (٢) في المصدر: «الخنوع».

(٣) في المصدر: «الاّ ابليس، اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة».

(٤) نهج البلاغة: خطبة ١ ص ٤٢. (٥) الاعراف: ٢٧.

(٦) في الاصل: «المتخلص». (٧) ص: ٨٢ و ٨٣.

علـى يـدي»[١]، وفي روايـة «قـتلته»[٢]؛ وفي روايـة عـن الصـادق عليه السلام «على أنّ الشيطان لايتعرّض بنا»[٣]،هذا.

وأمّا وقوع الخطأ، وهو مخالفة الأمر الإرشادي دون المولوي منه وترك الأولى، من الأنبياء فقد صرّح به القرآن الكريم وتواترت به الأخـبار؛ قال تعالى في آدم وحواء: ﴿فَـأَزَلَّـهُمَا الشَّيْطانُ﴾[٤]،الآية؛ وكذا في سائر الأنبياء؛ وكذلك وقوع الخطأ الخالي، قال تعالى: ﴿وَ اخْتارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً﴾[٥]،الآية. وقال تعالى حكاية عن فتى موسى، وهو يوشع، في قصة الحوت:﴿وَ ما اَنْسانيهُ اِلاَّ الشَّـيْطانُ اَنْ اَذْكُرَهُ﴾[٦]،الآية. وقال تعالى حكاية عن أيّوب عليه السلام:﴿اَنّي مَسَّـنِيَ الشَّـيْطانُ بِـنُصْبٍ وَ عَذابٍ﴾[٧].

ويتبيّن ممّا مرّ من الأمثلة أنّ عمدة تصرّفاته لعـنه الله في هـذا العـالم الطبيعي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تصرّفه في الانسان بالوسوسة في صـدره والإلقـاء في قلبه، قال تعالى:﴿وَ اِنَّ الشَّـياطينَ لَـيُوحُونَ اِلىٰ اَوْلِـيائِهِمْ﴾[٨]، وقـال تعالى:﴿مِـنْ شَرِّ الْـوَسْواسِ الْخَـنّاسِ * الَّـذي يُـوَسْوِسُ في صُـدُورِ

(١) كنز العمّال: الفصل الرابع في الشيطان ووسوسته ج ١ ص ٢٤٧ ح ١٢٤٣.
(٢) لم نعثر عليها.
(٣) لم نعثر عليها.
(٤) البقرة: ٣٦.
(٥) الاعراف: ١٥٥.
(٦) الكهف: ٦٣.
(٧) ص : ٤١.
(٨) الانعام: ١٢١.

النّاسِ﴾[١] والخنّاس اسم للشيطان الموكّل على الناس، كما في الأخبار. وقد مرَّ رواية الكافي في هذا المعنى.

وهذا القسم هو الذي عصم منه المعصومون من الأنبياء والأولياء، ولذلك لو تحقّق منه لعنه الله وسوسة لهم كان ذلك بالظهور والتجسّم لهم؛ كما ورد أخبار كثيرة في قصص نوح وابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى ويحيى ونبيّنا عليهم السلام في هذا المعنى.

القسم الثاني: تصرّفه لعنه الله في الإنسان غير قلبه، كأعضائه مثلاً؛ كما في قصة أيوب ومرضه مرضاً شديداً. وهذا في غير المعصومين من الأولياء مقدّمة للقسم الاوّل، وفيهم ينتج ايذاءً.

القسم الثالث: تصرّفه لعنه الله في غير الانسان من الأُمور الخارجة عنه، قال تعالى: ﴿قٰالَ رَبِّ بِمٰا اَغْوَيْتَني لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ في الْاَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعينَ﴾[٢]، والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تُحصى.

كما في الكافي بإسناده عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لاتؤوا منديل اللحم في البيت، فانّه مربض الشيطان؛ ولا تؤوا التراب خلف الباب، فانّه مأوى الشيطان»[٣]، الخبر.

وفيه مسنداً عن الصادق عليه السلام: «إنّ على ذُروة كلّ جسر

---

(١) الناس: ٤ و ٥. (٢) الحجر: ٣٩.

(٣) راجع بحار الانوار: ج ٦ ص ١٩٩ ح ١٥، ولم نجده بتمامه في الكافي بل وجدنا الحكم الأول منه في: ج ٦ ص ٢٩٩ ح ١٨ والحكم الثاني في: ج ٦ ص ٥٣١ ح ٦ مع اختلاف يسير.

شيطاناً، فإذا انتهيت إليه فقل: بسم الله، يرحل عنك»[١].

وفي أخبار كثيرة: أنّه لعنه الله تصرّف في العنب والكرمة والنخلة، وفي أخبار كثيرة: أنّه لعنه الله يتصرّف في النطفة والمأكل والمشرب والملبس والمسكن، إذا لم يذكر اسم الله عليه.

وفي الكافي مسنداً عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بيت الشيطان من بيوتكم بيت العنكبوت»[٢].

وفي الكافي أيضاً مسنداً عن أحدهما عليهما السلام قال: «لاتشرب وأنت قائم، ولاتبل في ماء يفتع[٣]، ولاتطف بقبر، ولا تخل في بيت وحدك، ولاتمشِ بنعل واحدة[٤]، فانّ الشيطان أسرع ما يكون الى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال»[٥]. الى غير ذلك من نظائرها التي وردت في الشريعة. وهذا القسم أيضاً مقدّمة للقسم الأوّل من تصرّفاته لعنه الله.

ومن البرهان المذكور يظهر أيضاً أنّ الشياطين مفارقة الوجود للمادّة؛ والوجوه المذكورة في تجرّد الملائكة غير الوجه الأخير منها جارٍ في الشياطين بعينها. قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَ يُمَنّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غروراً﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿وَ إِنَّ الشَّياطينَ لَيُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِيائِهِمْ﴾[٧].

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٨٧ ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٥٣٢ ح ١١.

(٣) في المصدر: «نقيع».

(٤) في المصدر: «في نعل واحد».

(٥) الكافي: ج ٦ ص ٥٣٤ ح ٨

(٦) النساء: ١٢٠.

(٧) الانعام: ١٢١.

وقال تعالى: ﴿وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْديهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ اَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿اِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿اَلشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ اَمْلىٰ لَهُمْ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ اِذْ قالَ لِلاِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ اِنّي بَريءٌ مِنْكَ﴾[٥]،الآيات. وأمثال الأخبار التي أوردناها في الكلام على الملائكة واردة في هذا المقام، ولا نطيل بالإيراد والبيان، بل الأخبار الواردة هاهنا أوضح دلالة من هناك، لأنّ كثيراً من تصرّفاته الواردة بتمثيل جسماني مفسر هاهنا؛ بخلافه هناك.

كما في المحاسن عن الرضا، عن آبائه، عن علي عليهم السلام في حديث: «فَأمّا كحله فالنوم، وأمّا سفوفه فالغضب، وأمّا لعوقه فالكذب»[٦].

وفي الكافي مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم»[٧].

وعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم

---

(١) البقرة: ١٦٨.
(٢) الاعراف: ١٦ و ١٧.
(٣) الاعراف: ٢٧.
(٤) محمّد(ص): ٢٥.
(٥) الحشر: ١٦.
(٦) بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢١٧ ح ٥٣.
(٧) الكافي: ج ٢ ب ١٢١ ص ٣٠٤ ح ١٢.

مجرى الدم»[١].

وفي الخبر: «إنّ موسى عليه السلام رآه، وعليه برنس، فسأله عن برنسه؛ فقال لعنه الله: به أصطاد قلوب بني آدم»[٢].

وفي مجالس ابن الشيخ مسنداً عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام: «إنّ ابليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم الى أن بعث الله المسيح عليه السلام، يتحدّث عندهم، ويسائلهم. ولم يكن بأحد منهم أشدّ أُنساً منه بيحيى بن زكريا.

فقال له يحيى عليه السلام: يا أبا مرّة إنّ لي اليك حاجة.

فقال له: أنت أعظم قدراً من أن اردّك بمسألة فاسألني ما شئت، فإنّي غير مخالفك في أمر تريده.

فقال يحيى: يا أبا مرّة، أُحبّ أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم.

فقال له ابليس: حبّاً وكرامةً. وواعده لغدٍ، فلمّا أصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الوعد، وأغلق عليه الباب اغلاقاً؛ فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته؛ فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا اسنانه وفمه مشقوقات[٣] طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيدٍ، يدان في صدره، ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة

(١) بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٦٨ ح ١٥٤.

(٢) بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٥١.

(٣) في المصدر: «مشقوقاً».

معلّقة شبيهة بالكلاّب.

فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟

فقال: هذه المجوسية. أنا الذي سننتها وزيّنتها لهم.

فقال له: ما هذه الخطوط[١] الالوان؟

قال: هذه جميع أصناع النساء؛ لاتزال المرأة تصنع الصنيع حتّى يقع مع لونها، فأفتن الناس بها.

فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟

قال: هذا مجمع كلّ لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي؛ وأنّ القوم ليجلسون على شرابهم، فلا يستلذّونه، فأُحرّك الجرس فيما بينهم، فإذا سمعوه استخفَّ بهم[٢] الطرب، فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع أصابعه ومن بين من يشقّ ثيابه.

فقال له: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك؟

قال: النساء؛ هنّ فخوخي ومصائدي، فانّي اذا اجتمعت عليَّ دعوات الصالحين ولعناتهم صرت الى النساء، فطابت نفسي بهنّ.

فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة التي على رأسك؟

قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين.

قال عليه السلام: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟

قال: بهذه أُقلّب قلوب الصالحين.

قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قطّ؟

قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني.

---

(١) في المصدر: «خطوط».

(٢) في المصدر: «استخفّهم».

قال يحيى عليه السلام: فما هي؟

قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت [ونمت ـخ]، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل.

قال يحيى عليه السلام: فإنّي أُعطي الله عهداً أنّي لا أشبع من الطعام حتّى ألقاه.

قال له ابليس: وأنا أُعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتى ألقاه. ثمّ خرج فما عاد اليه بعد ذلك»[1]، الحديث.

وهو مرويٌّ عن طرق العامّة أبسط من ذلك؛ والروايات في أقسام اغواءاته وتزييناته عند أنواع المعاصي والذنوب بتصويرات عجيبة فوق حدّ الإحصاء؛ وكلّ ذلك يشهد أنّها تمثّلات مثالية منه لعنه الله غير مادّية.

وبما تقرّر يندفع ما ذكره بعضهم: أنّا إذا عملنا سيئة فلا نجد في أنفسنا إلاّ تصوّراً للفعل، وتصديقاً، وجزماً، وإرادةً، وتحريكاً للأعضاء بالعضلات؛ ولم نجد أثراً لمؤثر آخر يسمّى شيطاناً؛ فليس الاّ القوى المادّية و ميلها[2] الى الشهوة والغضب والخواطر المنبعثة؛ فالشيطان كناية عنها، والوسوسة كناية عن الخواطر من حيث وقوعها في طريق الشرّ. وهذا الكلام يطّرد في جانب الملك وإلهامه، كما لا يخفى.

ووجه الاندفاع ظاهر، إذ الشيطان والملك في طول الإنسان الطبيعي لا في عرضه، حتّى يتوجّه ما ذكر.

ومن أجاب عنه بأنّ فعل الشيطان والملك الذكر والتذكير، فلا يلزم ما

---

(١) بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٢٤ ح ٧٠.

(٢) في الاصل: «لميلها».

أوردوه؛ كأنّه غفل عن مائة أو اُلوف من الأخبار والآثار في أقسام تصرّفاته لعنه الله، أو أنّه حمل جميعها على المجاز والاستعارة وسائر الصنايع الشعرية، وحاشا مقام أئمة الإسلام عن ذلك.

ومن البرهان المذكور يظهر كيفية وجود الملائكة، أعني العمّالة منهم: ويظهر أيضاً أنّ ذات الإنسان كالمؤلّف من تصرّفات ملكية أو شيطانية، وليس له ذات مستقل منحاز.

ومن البرهان المذكور يظهر مع ملاحظة الاُصول المقرّرة في محلّها أنّه لعنه الله وجنوده، وإن كان لهم تقدّم على هذه النشأة لتقدّم المثال على المادّة، الاّ أنّ لهم تأخّراً ما وتعيّناً ما بالمادّة، إذ تحقّق المعصية بأنواعها يحتاج الى تعيّن مادّي.

ومن هنا ربّما يظهر وجه معنى شمول الخطاب بالسجدة لآدم عليه السلام لابليس لعنه الله، مع أنّه لم يكن من الملائكة والخطاب كان متوجّهاً اليهم؛ وانّه كان في السماء، إذ لم يكن إذ ذاك أرض متعيّنة، بل لم تكن الاسماء نورانية طاهرة، وانّما تعيّنت الأرض بعد وقوع المعصية. قال سبحانه: ﴿قٰالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفوراً﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَ قُلْنٰا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ اِلىٰ حينٍ﴾[2]،الآية. فأرض آدم الأرض الطبيعية، وأرض ابليس الأرض السابعة؛ والأرض مع ذلك أرض واحدة، إذ الاختلاف بالبطون والظهور لايوجب الاختلاف حقيقة، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿اَوَلَمْ يَرَ الَّذين كَفَروا اَنَّ السَّماوَاتِ وَالْاَرْضَ كٰانَتٰا

---

(١) الاسراء: ٦٣.

(٢) البقرة: ٣٦.

رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١]، الآية.

ومن هنا ربّما يظهر معنى ما ورد مستفيضاً من أئمة أهل البيت عليهم السلام كما في **الكافي** و **تفسيري القمّي و العيّاشي** بطرق متعدّدة: «إنّ ابليس كان مع الملائكة ولم يكن منهم، وكانت الملائكة ترى أنّه منهم»[٢]، الخبر. وذلك لعدم ظهور معصيته ومخالفته اذ ذاك.

ومن هنا ربّما يظهر معنى تولّد ذرّيته؛ قال تعالى: ﴿اَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ اَوْلِياءَ مِنْ دُوني وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[٣]، الآية.

وفي **تفسير العيّاشي** عن جابر عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث: «فقال ابليس لعنه الله: ربّ هذا الذي كرّمت عليَّ وفضّلته، وان لم تفضّل عليَّ لم أقو عليه. قال: لا يولد له ولد الاّ ولد لك ولدان»[٤]، الحديث. وهذا على سبيل التكثير.

ويؤيّده ما في **تفسير العيّاشي** مسنداً عن الصادق عليه السلام في حديث، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «والذي بعث محمّداً [بالحق] للعفاريت والأبالسة على المؤمن اكثر من الزنابير على اللحم»[٥]، الحديث.

وفي **الكافي** مسنداً عن أبان عن الصادق عليه السلام، قال: [انّ] لابليس

---

(١) الانبياء: ٣٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٣ ح ١، تفسير القمي: سورة البقرة ج ١ ص ٣٦، تفسير العيّاشي: سورة البقرة ج ١ ص ٣٤ ح ١٦، بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢١٧.

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) تفسيرالعياشي: سورة النساء ج ١ ص ٢٧٦ ح ٢٧٦، بحار الانوار: ج ٦٠ ص ٢٢٠ ح ٥٨.

(٥) تفسير العياشي: سورة الاسراء ج ٢ ص ٣٠١ ح ١١١.

عوناً يقال له تمريح، اذا جاء اللّيل ملأ ما بين الخافقين»[١]، الحديث. وهو حديث غريب في معناه.

واعلم أنّ مثل هذا المعنى وارد في الملائكة أيضاً وان لم يعبّر عنه في الأخبار بالذرّية والتولّد؛ ففي **الكافي** مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ في الجنّة نهراً يغتمس فيه جبرئيل كلّ غداة، ثمّ يخرج منه، فينتفض، فيخلق الله عزّ وجلّ من كلّ قطرة تقطّر منه ملكاً»[٢]، الحديث. وهو مرويّ في حديث المعراج من طرق العامّة والخاصّة، وهذا المعنى كثير في روايات العبادات أيضاً.

واعلم أنّ هذه المقابلة بين الملك والشيطان يوضح معنى ما ورد: انّ الملك مخلوق من النّور والشيطان من النّار؛ قال تعالى: ﴿خَلَقْتَني مِنْ نارٍ﴾[٣]،الآية. حكاية عنه لعنه الله.

وفي **الكافي** مسنداً عن داود الرّقي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور»[٤]،الخبر.

تتمة

وممّا يتعلّق بمجال الشياطين قضية رجمها بالشهب. قال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّاها لِلنّاظِرينَ * وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٣٢ ح ٣٠٤. (٢) المصدر السابق: ص ٢٧٢ ح ٤٠٤.

(٣) الاعراف: ١٢.

(٤) لم نجده في الكافي بل وجدناه في بحار الانوار: ج ٥٩ ص ١٩١ نقلاً عن الاختصاص وفيه «المعلّى بن محمد» بدل «داود الرقّي».

رَجيمٍ * اِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبينٌ﴾[١]، الآيات.

وفي **المجالس** عن الصادق عليه السلام: «كان ابليس يخترق السماوات السبع؛ فلمّا ولد عيسى حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق اربع سماوات؛ فلمّا ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حجب عن السبع كلّها، ورميت الشياطين بالنجوم»[٢]، الحديث. ومضمون الخبر مرويّ مشهور بين الفريقين.

وفي **العلل** مسنداً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّما كانت بلية أيّوب التي أُبتلي بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه، فأدّى شكرها؛ وكان ابليس في ذلك الزمان لايحجب دون العرش، فلمّا صعد عمل أيّوب عليه السلام بأداء شكر النعمة حسده ابليس لعنه الله»[٣]، الخبر.

ويظهر منه أنّ عروجه لعنه الله الى السماوات لم يكن منحصراً في سماع الأخبار عن الملائكة؛ وقد ذكروا في معنى هذه المسألة بعض الوجوه، منها ما ذكره صدر المتألهين قدّس سرّه في **المفاتيح**[٤]، من أراده فليرجع اليه.

والذي يظهر من معناها بما يناسب البناء على ما مرّ من الأُصول أن يقال: إنّ السماوات السبع والأرضين السبع ما كانت منحازة في زمن الأنبياء السابقين كلّ الانحياز، ولا كانت شرائعهم مستوعبة للأعمال

---

(١) الحجر: ١٦ و ١٨.

(٢) الأمالي: مجلس ٤٨ ص ٢٣٥ ح ١، بحار الانوار: ج ١٥ ص ٢٥٧ ح ٩.

(٣) علل الشرائع: ج ١ ب ٦٥ ص ٧٥ ح ١.

(٤) مفاتيح الغيب: المشهد السادس عشر ص ٢١٧.

النازلة من السماوات، غير ما نزلت ممّا فوق السماء السابعة، كأصل التوحيد والولاية والنبوّة وبعض ممّا دونها بحسب استعداد الأُمم الماضية: فلمّا تولّد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام منع ابليس لعنه الله من ثلاث سماوات، وهي السابعة والسادسة والخامسة، وانحازت اذ ذاك ثلاث من الأرضين، واستوعبت شريعته بتكميل شريعة موسى عليه السلام من الأعمال بنسبة ذلك؛ ثمّ لمّا تولّد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم منع لعنه الله ببركته صلّى الله عليه وآله وسلّم من جميع السماوات السبع، وانحازت بذلك جميع الأرضين السبع، وقذفت الشياطين بالشهب، وانقطعت الكهانة، واستوعبت شريعته المقدّسة جميع الأعمال النازلة من السماوات السبع، فافهم ان كنت من أهله ان شاء الله.

واعلم أنّ الشياطين غير منحصرة في الجنّ، بل ربّما لحق بهم شياطين من الانس أيضاً، وهو الذي تقتضيه الأُصول السابقة، وهو الفناء في الشيطان. قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْاِنْسِ وَ الْجِنّ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾[(٢)].

وفي قصص الراوندي مسنداً عن عبدالعظيم الحسني عليه السلام عن علي بن محمد العسكري عليه السلام في حديث ظهور ابليس لعنه الله لنوح عليه السلام: فقال نوح عليه السلام: تكلّم. فقال ابليس لعنه الله: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جباراً أو عجولاً تلقّفناه

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) الناس: ٤ ـ ٦.

تلقّف الكرة، فان اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً»[١].

هذا آخر ما أردنا ايراده من هذه المباحث على ما يسمح به الوقت ويسعه الباع، والله المستعان، واليه المصير، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وكان الفراغ ليلة الجمعة منتصف شهر محرّم سنة ١٣٥٧،
وفرغ عن كتابته في العشر الأوسط من شهر
صفر سنة ١٣٦١ هجرية قمرية.
ووقعت الكتابة في قرية شادآباد من أعمال بلدة تبريز.

---

(١) بحار الانوار: ج ١١ ص ٢٨٨ ح ١٠.

الفهارس



فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة

(٣٣) سورة الأحزاب

(٣٥) سورة فاطر

(٣٦) سورة يس

رقم الآية		الصفحة

(٦٤) سورة التغابن

(٦٥) سورة الطلاق

(٦٧) سورة الملك

(٦٨) سورة القلم

(٦٩) سورة الحاقّة

فهرس الأحاديث

ـ أ ـ

-ب-

-ت-

-ث-

-ح-

-خ-

-د-

-ر-

-س-

-ش-

- ق -

- ك -

- ل -

-ن-

-و-

فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

- ج -

- ح -

- د -

- ذ -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

ـ ف ـ

ـ م ـ

-هـ-

-ي-

محتويات الكتاب

رسالة التوحيد

ملحق

ما ندب إليه الإسلام آخر درجة من التوحيد

رسالة الأسماء

رسالة الأفعال

رسالة الوسائط

الفهارس